نقد الشعر

من البلاغة إلى الحداثة

للكاتب : لزهر دخان

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الأديب للطبع والنشر والتوزيع

لا يجوز طبع أونشرهذا الكتاب دون الحصول على إذن خطي من الناشر لاستخدام أي مادة من مواد هذا الكتاب أو نسخها أو إعادة نشرها أو نقلها كلياً أو جزئياً بأي شكل وأي وسيلة سوف يقع تحت طائلة المسائلة القانونية.

اسم الـــدار	دار الأديب للطبع والنشر والتوزيع
اسم الكتاب	نقد الشعر من البلاغة للحداثة
اسم الكاتب	لزهر دخان
رقم الإيداع	2021/16098 بدار الكتب المصرية
الترقيم الدولي	978-977-6909-05-2
الإخراج الفني..والغلاف	تصميم واخراج .. دار الأديب .

daraladeeb@Gmail.com
Tel: 002- 01014449164

نقد الشعر في العصر الحديث. أصبح عند بعض المثقفين غاية وضرورة لا بد من الوصول إليها ، إستكمالاً لما قرأوه من الشعر . وبالتالي باتت القراءة لا تكتمل إلا إذا تلاها النقد . وإذا لم يَكن القاريء المتذوق للشعر ناقداً بنفسه . لما أعجبه و لم يَرقهُ من القصائدِ والنصوص الأدبية الأخرى كالقصة والرواية . وتجده يلجأ إلى مساعدة غيره من النقاد . ليساعدوه على إكمال جمال ما قرأ . عن طريق إضافة علامات ودرجات ونقاط ، ترفع من شأن وترتيب شاعره المفضل أو كاتبه الأول . أما كاتبه الأخير وشاعره غير المرغوب فيه ، فسيناله النقد الذي سيُقلل من شأن كلماته . ويكشف عُقم حِكمه وقلة حِيلته في عالم من الوحي اللغوي . بدأته البلاغة في أقدم زمن للغتنا الجميلة . ومرت به إلى ما هو عليه اليوم في بداية عصر الحداثة .

النقد ليس حِكراً على من طور نفسهُ وقلمهُ ، وَكَيّفَ فهمهُ عَلى إكمال دراستهِ إلى النهاية حتى يُصبح ناقداً . لآن الأرض تسمح بأن يعيش فوق سطحها عُتاة الفاهمين في مجال النقد . وغالبيتهم ليسوا أصحاب إختصاص ، وعلى

الرغم من عَدم تمدرسهم ودِراستهم لهذا الفرع الضروري من فروع الأدب العربي . نَجد لهم كِتابات وكُتب ومَقولات وخُلاصات لها وَزنها ، إذا أردنا مُقايضتها بنتائج دِراسات النُقاد المُتعلمين.

ومع هذا لنبدأ نقد الشعرمن البداية . أي لنترك ما صاغته الأزقة والشوارع ، بعدما أصبحتْ اللغة لا تُأخذ إلا من المَدارس . تاركة للشارع لغاته وللآزقة لهَجاتها. ونفم بنسبة فهم تسمح لنا بالبقاء أحياء ، إعتماداً على حصاد ألسنة الأمراء . إذا سلمنا أدبياً أن الشاعر راعي ومسؤول على رعيتهِ . وسرنا خلف رأيهِ وكلنا أمل في نجاة الرعية . على أساس أن المسؤولية المُوكلة له. والتي سَبَبُهَا ما يَقولهُ مِنْ شِعر. هِي مَا خَيَرَهُ أو أجْبَرَهُ عَلى إرتدَاء تاج الأمير .

-1- مفهوم النقد:

لنلقي نظرة أولاً على مفهوم النقد . الذي هـو تعبير يَكتبه أو ينطقه مُتخصّص يُسمى "ناقد" . يَنقد الجَيّد والرديء من الفعال والإبداع ، أومن قرارات الإنسان أو مجموعة من الناس . ويتناول الناقد كل هذا وأكثر في الأدب وحَوله . مُستخلصاً منه العِبر ، مُبرزاً مَا عَثر عَنهُ فيهِ مِن قوة . ومُسلطاً الضوء على المساويء التي وجدها حَيث نقب . وقد يَكون لَه مَا يَقترحُ مِن الحُلول لِحل مَشاكل ملأت النصوص . أو تلك التي غطتها كـُبريات الجُمل ، في حالة نقد بيت شعر يَتيم . يَنـُم عَلى كـُفر أو خرق صارخ لِعُرف أدمي أو شرعي . ويستطيع الناقد مُمَارسة مُهمته في مَجال الأدب، والسياسة، والسينما، والمَسرح، وفي مُختلف المجالات الأخرى.

-2- نقد الشعر من البلاغة إلى الحداثة:

وسيدورُ الكلام فِي هَذا البحث الأدبي العِلمي النقدي حول نقد الشِعْر، من البلاغة إلى الحَداثة . والمقصود بالبلاغة هُنا هو القِدم الذي نَجد فيهِ الشعر عَلى ما هو عَليهِ . أي قديماً جَاداً لم يُدخل عَليه أي تحديثات تـُنقص مِن وزنهِ وقيمتهِ اللغوية مثالية البلاغة.. ويُنطبق هذا الوصف على ما نأخذهُ مِن عِـُلوم العَرب القدماء ، لنضرب به أمثلة لما نقول ونفعل . ونستخدمه أدلة تساعدنا في دروسنا -

وتعلمنا للغة . وما بُنيتْ عَليه قواعدها مِن شِعر وقصة ورواية . ومن بين هذه القواعد اللغوية يُوجد تعريف ومفهوم للبلاغة.

-3- تعريف البلاغة وفروعها:

لفن البلاغة في اللغة العربية تعريفهُ . وهو بالمختصر في كلمة واحدة يَعني الخطابة . بشرط أن تكون الكلمات مختصرة كافية شافية . وكذلك دالة على الرأي الحَكِيم السديد . الذي أراد المُخاطب إيصاله إلى الناس . ولإبن الأثير في تعريف البلاغة هذه الكلمات :(مدار البلاغة كُلها على إستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنه لا إنتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة . دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها -1-)

-1- المثل السائر، إبن الأثير 64/2

ولمزيد من التوضيح وضعتُ بيتين شعر من نـَظمي :

بَلغكَ الْكَـثِيرُ مِنْ اليَسِيرِ أجْهِرُهُ لَيْنتَـهي اَلْجَرِجُ-1- عَنْ قَـلَقٍ يُخْرِجُهُ

بَيـَـــــاناً لَوْ لاهُ لـَكَان الشُّدَاهُ-2- وغبَاء مَنْ مِنَ الرَّأسِ يُـــخْرِجُهُ

فعندما أسعى إلى الإبلاغ عن الكثير من الأمور ، مُعتمداً على اليسير مِنْ مُفردات اللغة وأستطيع . أكون قد بَلغتُ مرتبةً تجعل الناس يَرضونني خطيباً عليهم .أو لبيباً بينهم، أو شاعراً لآمتهم أو قبيلتهم أو عَشيرتهم . لِيَسْهُلَ عَليهم توضيح الكثير باليسير . ويَفهمون ويتفاهمون ويُنهون القلق والإضطراب.

وبالعودة إلى أصل البلاغة ككلمة "بلاغة" في اللغة العربية . نجد أنها إسم مُشتق من الفعل بَلَغَ . وهو فعل ثلاثي بمعنى أدرك الغاية ووصل إلى النهاية. ومن يستطيع بلوغ الغاية بإستخدام سحر البيان نـُطقاً باللسان يُسمى "البليغ" .

-1- الجَرِجُ تعني الجانل القَلِقُ

وقد جَرِجَ جَرَجاً أي بمعنى: قَلِقَ وإضطرب

-2- الشُّدَاهُ : الحَيْرَة والدَّهْشُ

أي الشخص المُتمكن من الإقناع والتأثير بكلامه وأدائه على العقول البشرية . كما أن البليغ يَستطيع إيصال معنى الخطاب إلى المتلقي ، ويُخَلِصه من سوء الفهم . سواء أكان سَامعًا أم قارئًا . وقال النبي محمد ﷺ (إن من البيانِ لسِحرًا) الحديث رواه البخاري .

-4- علم البيان

ويُعتبر عِلم البَيان مِن أهم فروع البَلاغة الثلاثة وهِي : عِلم البَيان ، عِلم المَعاني ، عِلم البَديع.

أولاً عِلم البيان : هو عِلم يَبحثُ في وجوب مطابقة الكلام لمقتضى حال المُخَاطَبْ وأحوال السامعين . ولا يَبدأ من وضعَ السيف وجرد حسام البيان *اللسان* . لا يبدأ معركته بدون السياسة التي تحتاج إلى بيان فيه فطنة وكياسة . حتى تبني للناس الأمجاد التي تعدهم بها . وهذا النوع من البيان مُزدهر في تاريخنا الحديث . ويَعرفه ويتقنه جميع السياسيين ، سيما قادة الأحزاب الإسلامية .

كما يبحث علم البيان في القرآن الكريم ليكتشف الأساليب اللغوية ، التي منها الخبر- والإنشاء- والإيجاز - والإطناب والمساواة - وغيرها . من المعاني المستفاده من تأليف الكلام ونظمه على طريقة الله في كتابه . ولم تكن عقول المُسلمين بعيدة على إدراك بلاغة الفرقان . وصنعت أول

كتاب في علوم البلاغة ، وهو من علم البيان . الكتاب بعنوان "مجاز القران" لأبي عبيدة . الذي وضعه للإجابة على سؤال عن معنى قوله تعالى في شجرة الزقوم *- طلعها كأنه رؤوس الشياطين-* ثم قام بجمع ما ورد في القرآن من الألفاظ في كتابه "مجاز القران "

(وجاز في اللغة بمعنى قطع جوز الفلاة، والمجازاة الطريقة، والمادة ومشتقاتها تعني الإنتقال بوجه عام، ومنه التجوز في الشيء، الترخص فيه. وعلى هذا المعنى بنى أبو عبيدة فهمه لكلمة مجاز[1])

وإلى جانب رجال الدين والسياسيين من قادة المسلمين في كل العصور. يُوجد الشعراء في مُقدمة من يَحتاجون إلى البلاغة . ليُقدموا بها بياناً وبُرهانا للناس على صدق أحَاسِيسهم ، ورُشد أعمارهم ورَجاحة عُقولهم .

وقد أبلغ الشاعر العبسي عنترة بن شداد عن ما يَراه في المَلمس الرطب ، عندما يَكون غير متاح لمسه أو غير أمِنُ التنعم به :

إنَ الأفاعي وإن لانتْ مَلامسُها عِندَ التقلبِ فِي أنيَابِهاَ العَطَبُ

-1- أثر القرآن في تطور النقد العربي د.محمد زغلول سلام: ، دار المعارف بمصر ط(2)، القاهرة 1961/، ص39.

-5- عِلم المعاني:

عالم جميل من المعاني والأفكار . فيهِ تـُرشدنا اللغة التي تعلمناها إلى إختيار التركيب اللغوي المناسب . الذي يليق بمقامها حتى يتم الإعتماد عليها في تبرير المواقف . وما التبرير إلا تنويراً بالمعارف. واللغوي إذا أفصحت المعاني هو عَازفٌ عَارفٌ إلى أين وكيف يُرشدنا ، بجعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون هي الفكرة. التي خطرت على باله فنقلها إلى بالنا . تماماً كما يَفعل الهَاتف الجَوال ، عِندما يَنسخ لنا صورة عَبر البليتوث من الجهاز المُجاور.

علم المعاني لا يَعني البَحث في جُملة وَاحدة . لآن المعنى قد يَكون خبراً تأتي به باقي الجُمل . أو يُلخصه مُجمل النص أو يُتممه ويُعدله . ("والمعاني تتواجد في الإيجاز والإطناب، والفصل والوصل و الإستعارة والمجاز المرسل والتشبيه والكناية وأسلوب القصر ، الذي يُعرف بأسلوب الحصر."[1])

-1- أ ب عبد العزيز عتيق، علم المعاني، القاهرة : دار النهضة العربية، صفحة 25-26 ، الجزء: الأول. بتصرف

-6- عِلم البديع :

ويَعود الفضل في إستحداث الكتابة في مجال البديع إلى عبد الله بن المُعتز الخليفة العباسي . وهذا على الرغم من أنه سُبق من شعراء ، ظهرت ضروب من البديع في أشعارهم . ومنهم مسلم بن الوليد الذي لقب بصريع الغواني . وسُئل عن لقبه فأنشد:

إنَ وَرْدَ الخُدُودِ وَالأعْيُنِ النُـــجلِ-1- وَمَـــا فِي الثُغُورِ مِنْ أقْحُوَانِ

وإسِودَادِ الصِدغيْنِ-2- فِي أَوضحِ الـ خدِّ وخَافي الصُدُورِ مِنْ رُمانِ

تَرَكتني لَدى الْغَـــــواني صَريعًا فلِهَذا أُدْعَى صَـــرِيْعَ الغَوانِي

وأيضاً كان الشاعر ،أبو تمام . قد سبق الخليفة ، بن المُعتز في صياغة البديع . ومن بين أفضل قولهِ ، ما بدأ به قصيدتهُ فِي مَعركة عَمُورية :

السَيّفُ أصدَقُ أنباء مِنَ الكُتُبِ فِي حَدِه الحَدُ بينَ الجدِ وَاللَعِبِ

وإستطاع أبو تمام حفظ أربعة عشرة ألف أرجوزة شعر عربية -3- .

-1- النجل: العين النجلاء أي الواسعة

-2-الصدغين: ما بين العين والأذن من الجلد والشعر

-3-أ ب الكتب - سير أعلام النبلاء - الطبقة الثانية عشرة - أبو تمام- الجزء رقم10

أرجوزة : جمعها أراجيز وهي القصائد المكتوبة على بحر الرجز. المنسوب إلى الناقة الرجزاء .التي تعاني من ألام في سوقها الأربعة تمنعها من الوقوف ولهذا سميت القصائد مبعثرة القوافي والعروض بالأراجيز.

إبن المعتز تمكن في عصره من جمع سبعة عشر نوعاً من المحسنات البديعية-1-. وزاد أبي هلال العَسكري وإبن رشيق في العصر التالي ،الكثير من ما لم يخرج عن عُلوم إبن المعتز.

ومن الواضح أن الكلام في حالة ما كان مُبلغا لما يحمله المتحدث من فكرة أو رأي أو رسالة ، ويكون بسيطا لا مُحسَناً ولا مُقفى . كان لا يُعجب العرب ، خصوصاً في فجر الإسلام .الزمن الذي تعودت فيه ألسنتهم وأذانهم على حلاوة الخطاب الملموسة في عَظمة الكتاب والسنة . وآن ذاك بدأت العرب تطوير عِلم يَختص بعنصر الصياغة . كي تتطور تماشياً مع بلاغة الذكر الحِكيم. وإنشغل علماء اللغة بحسن تنسيق الكلام ليتحول من بليغ إلى بليغ و بديع .وعمدوا إلى حُسن تنظيم الجُمل والكلمات . وسُمي إنتاجهم اللغوي آن ذاك بالمُحسنات البديعة . وقسمت إلى جزئين - اللفظي والمعنوي-

ويشير تاريخ وضع العلوم العربية التي وضعت في معظمها في القرون الأولى للإسلام . إلى أن التفسير والنحو والتصريف والفقه . كلها عُلوم شجعها البحث والإكتشاف.

-1- كتاب علم البديع، لعبد العزيز عتيق، الصفحة 15

على الظهور ثم الصمود . وبعدها التطور الذي يَصل بنا اليوم إلى عنوان بحثنا * نقد الشعر من البلاغة إلى الحداثة* . و تجدر الإشارة إلى أن أبطأ الفنون العربية في التدوين والإستقلال، كعلم منفرد له قواعدهُ وأصوله ، هو علم البلاغة . لأن المسائل كانت متفرقة و لا توجد في بطون الكتب قواعد تظبطها بشكل يتفق عليه الجميع . وكانت المصطلحات غير واضحة بالصور المطلوبة. وفي نفس الوقت لم تُنْشَأ البلاغة وفروعها الثلاثة من المجهول .لآن الباحثين طورُوها مِنْ خلال تواجدها في بيئتها.

-7- لماذا رحل الشعر من الجاهلية إلى كل العصور التي بعدها

إرتحل الشعر من الجاهلية إلى كل العصور التي بعدها . لآنه يُعتبر هو لسان العربي . وكيف للعرب أن ينتقلوا إلى أزمنة ما بعد الجاهلية بدون لسان العرب . وهذه الإجابة هي أنسب رد . وقد يَكون للشعر الجاهلي الرد الأكثر تناسبا . فكلام أمرؤ القيس يَقيس ما أطرحهُ ، ويَرُد عليه بهذا البيت:

إذا المَرءُ لَم يَخزُن عَلَيهِ لِسانَهُ فَلَيسَ عَلى شَيءٍ سِواهُ بِخَزّانِ

ويَقصد أمرؤ القيس هنا أن يقول إمسك عليكَ لسانك . فأنت لا تعرف أن السكوت رأس كل حِكمة. وإذا دققنا في القولين سنكتشف أنهما متساويان . فبيت الشعر لآمرؤ القيس والحِكمة لعلي بن أبي طالب ،أما المعنى فهو واحد . وهذا المعنى له بالطبع منبعاً . والصواب أن نقول أن الجاهلية أوصلت إلى علي أرضاه الله هذه الحِكمة . سيما وأنه مُواطنها هو أيضاً ، لآنه عاش مِنها سنوات طفولته .

وهناك دليل أخر على أن الشعر والأدب الجاهلي بصفة عامة ، هو لسان العرب . لآنه كان يُحفظ داخل الإنسان .أي لا توجد آن ذاك

أوراق أو جلود . وإن وجدتْ فإن عصر التدوين لم يسبق عصر الصُدور . التي كانت حافظة لكل منتجات الأدب . ويعود الفضل للرواة في تطور لسان العرب بشكل لا يُنسى ولا يَندثر ويَتقدم ولا يَتأخر . وأبرز الرواة عبر العصور هم (حماد بن سلمة، خلف الأحمر، أبو عمرو بن العلاءالأصمعي المفضل الضبي وغيرهم -1-

أما الدليل الأخر على أن الشعر الجاهلي هو لسان العرب . فهو ما نلحظه اليوم وبالأمس القريب من وجود لشعراء ليسوا على مسافة بعيدة من بلاغة الجاهليين من كبار الشعراء.

وإذا سألنا عن لغتنا وكيف جُمعت مفراتها وحُفظت . سنعرف أن أكثر شعراء العرب بلاغة وهو الفرزدق . قد ساهم في الحفاظ على لغتنا . بدليل قول اللغوين *لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث العربية * وحسابياً ، لا يَكون من إستخدم أكثر من ثلث مفردات العربية -الغير متداولة في عصره - في أبيات شعره، لا يكون إلا أكثر الناس بلاغة قديما وحديثاً.

وهذا هو الدليل الرابع على أن الشعر هو لسان العرب . وقد تمكن هذا اللسان بإستخدام لسان الفرزدق ، تمكن من تثبيت مفردات اللغة في قصائد تتداولها الناس كأقوال تزدهر ولا تندثر . ومن الأقرب إلى المنطق أن الذي يتم إستخدامه هو ما نحتاج إليه . ويقول الزعيم الراحل معمر القذافي في "الحاجة تكمن الحُرية-1-" وحُرية العرب والفرزدق كانت مُقيدة بوفرة الكلمات في سوق الكلام .

فمثلاً عندما تقرأ قوله :

لو يَعلم الرُكن من جاء يَلثمه لخر يَلثم منه ما وطئ القدم

ستجد نفسك تقول إنه قول سهل ممتنع ليس إلا . وكلام لا رهبة فيه قد ترقى لمستوى أشعار الفرزدق !؟ وإنك قد تفهم أن الركن هو المكان الذي يوضع فيه الحجر الأسود في الكعبة .

وأن الذي جاء يلثمه هو الإمام زين العابدين بن حسين بن علي وفاطمة الزهراء. وربما ستفهم باقي وصف الشاعر لمشاعر ركن يعلم نسب إبن الحسين . وسيكتمل فهمكَ إذا تذكرت أن العبارات التي بني بها بيت الشعر هي سر قوة الفرزدق . الذي جمعها عن ألسنة العرب وحفظها في لسان العرب.

ثم إنه لا يرضى أن يكون بدون رد فعل مصنعا من عنف الهجاء . فإستخدم في تطوير معدات الإقتتال اللفظية ثلث الكلم ، ولم ينقض جرير منه إلا الموت .

وأيضاً هو يطلب من خصمهِ لعبة هجاء عادلة فيقول:

أولئكَ آبَائِي فجئنِي بـِمِثْلُهُم إذا جَمَعَتنا يَاجَرِيرُ المَجَامِع

فيَا عَجبًا حَتى كُليب تسُبُني كَأن أبَاهَا نَـهْشَلٌ أوُ مُجَاشِع

بينما يبقى يفهم الأرض والشمس التي أنارتها . ويستطيع رؤيتها في الوجوه التي تحمل رسائل نورانية ، فيمدحها بقوله:

يَنْشَقُ ثوبُ الدُجَى -1-عَن نـُورِ غُرَتـِه كَالشَمْسِ يَنْجَابُ-2- عَنْ إشْرَاقـِهَا اَلقَتـَمُ

-1- ينجاب : ينجلي وينقشع ، والقتم هو الظلام أو عدم الوضوح

-2- الدجى:الظلام وهي من أسماء الليل ، كدجور، دجى، دجنة،صريم، هزيع

لآنه زين العابدين بن الحُسين . وليس لآن إسمه أصلاً له ذات معنى بيت شعر فرزدقي ، توسط قصيدة مدح طويلة .حَفظتها العرب ولا تزال تستنبط معانيها بتأني . ولما العجلة ولغة الشاعر جميلة لا تـُمل ولا يَقبل لها المتلقي أن تتحول إلى مَلل جُمَلْ . فهو يرى أن للشمس نوران أحدهما من وجه الإمام الذي يَظهر النـُور مِنه ، ولو غطيته بخرقة سَوداء . والثاني مِن قـُرصِها الأصلي .

وكي لا نظلم جرير فيستيقض من نومة المَمَّات . ليستغل فرصة أخرى في الحَياة ويَغـْرِسَ سِكِينه فينا . ويَهجونا لآننا قدمنا عليه ، همام بن غالب . سنشرك جرير فيما سنتناوله في مقدمة بَحثنا حول بلاغة الشعر . وصولاً إلى مكانتهِ وحَالته في المناهج الحديثة .

ولا نريد أن نـُخفي على جرير إن وجدت له أذان صاغية في عَصرنا. ولم يَسبق لها وسمعت ما قاله الفرزدق في عصر تبارزهما بالكلمات طوال 40 سنة . كانت عقود هجاء ما ملها الجمهور لآنه إنقسم إلى فريقين . الأمر الذي أبقى على الدم ساخناً . ومن ميزات الدم عند شدة الفورة ، إنتاج أجود الأبيات . التي مِنها ما قاله الفرزدق يوم مرَّ على مسجد بني السمين فقال: لمن هذا المسجد؟ فقيل: هو لبني السمين من بني حنيفة، فقال: ولله أنا أسمنُ منهم حَسَبًا

وأنشأ قوله :

أنَا إبْنُ السَمِين مِنْ ذوَابَة دَارِم أوْرَثَنِي ضَرْبَ اَلْعَرَاقِيْب غَالِب

ويرى الفرزدق أنه وأهله وقبيلتهِ ، أحق من سمين بني حنيفة . فلم يَسكت على ما قد يُسكتهُ دَهراً وأكثر . ونطق متأثراً بما هو عَليهِ مِنْ سُمنة . تجعلهُ في ذؤابة دارم . أي في مقدمة رَئَاسَة قومهِ . لآن ، ذُؤابةُ قومهِ .. تعني: شريفهم والمقدَّم فيهم (أنظر معجم المعاني)

وفي نفس المعجم أيضاً وهو متوفر على الأنترنت بإسمه معجم المعاني . يُمكن إستخراج معنى العراقيب .التي أنهى الشاعر بيته اليتيم بتأكيد قدرته على ضربها .إعتماداً على حَسبَهِ ونسبهِ . والعُرْقُوبُ هو الوتر الغليظ فوق العَقبين . وكثيراً ما يُستخدم في تعليق الحَيوان بعد ذبحه . كي يسهل على الجزارين سَلخه وتقطيعهُ . وإذا سمحنا لبلاغة الشاعر بقول ما تُريد . قد يكون العُرقوب الذي يَقصد الفرزدق ضربهُ هُو رَجلٌ مِنْ العَمَالقة . يُضربُ به المَثَل فِي خُلْفِ الوَعْد، ويَقول المَثل مَواعِيدهُ مَواعيدُ عُرْقوبِ.(أنظر معجم المعاني)

وقبل أن نتحول من رأي الفرزدق إلى رأي جرير . ونساعد البلاغة على مواصلة طريقها نحو الحداثة . نشير إلى أن الفِعال تجعلنا نتحدث . وكلامنا يكون حسبما حدث لنا بفعل فاعل . أو وفق ما أقدمنا نحن عليه . وإذا لم نتحدث جراء ما فعلناه أو بسببهِ . سنتحدث تبشيراً وإستبشاراً بما نحن مُقدمين عَليه . ولهذا الرأي تفعيلة تشرحهُ بشكل أوضحْ . وهَي *فَعَلْنَا فِعَالٌ فِعَالٌ فَعَلْنَا ـــ

فِعَالٌ فَـعَلْنَـا فَـعَلْنَـا فِعَالٌ[1] * وهاتهِ التفعيلة تُبرز للفاعل أنه أوحى لشاعرتهِ بضرورة التعبير عن الذي يَحدث . أو الذي حَدَثَ سابقاً . أو الذي سَيَحْدث مُستقبلاً . تماماً كتأويل الأحلام التي تنتج عَن العَقل الباطن . وتنقسم تفسيراً إلى ثلاثة أقسام . أولها هو ما حدث في القديم ، وإستحضره الإنسان في منامه . وثانيها الذي يَحدث في الحاضر وشغل البال حتى في النوم . وثالثها الرؤية الشرعية وهي شيء من المستقبل . يَراه الإنسان في نومه من شدة ما شغله التفكير فيه.

ولا يجوز أن نرى الشعراء مجرد مُتكلمين يَكتبون ما يُغنيهم عن العمل . ويتخذون مِن الشِعر صَنعة يَقتاتون مِنها لآن الصَواب هَو أن نَقول مَا يُبقي الشَاعر موجوداً مثلنا وأحسن منا في كل الحالات . سيما عندما يَسمع ويَقرأ

1-*فَـعَلْنَـا فِعَالٌ فِعَالٌ فَـعَلْنَـا ـــ فِعَالٌ فَـعَلْنَـا فَـعَلْنَـا فِعَالٌ * إبتكرها المؤلف الباحث للتوضيح

.ولهذه الأفضلية مجموعة أدلة . أولها وأبرزها هو كونه أقدم على السهل الممتنع . وعندما يَكون المُتلقي ضعيفا لغوياً وبعيداً عن القيم والإخلاق . ومشاغل الناس التي تستخدم فيها البطولة والرجولة والإنسانية والحكمة والكرم والزهد والعفة. يكون الشاعر حتماً أحسن منهُ . لآنه لا سبيل لشعرهِ يَسلكه فيوجد سليماً مستقيماً ،إلا عندما يَستطيع الوقوف عَلى المَكارم التي أشرت إليها.

-8- الشعر ممثلاً في الفرزدق وجرير :

ومن الشعراء من بدأ عُمره وعمر شعرهِ بدون أن يُغيير أو يُبدل قيد أنملة . ومِنهم مَنْ صَاح فصاحة عادلة في البداية . ثم سار بأعين الأخيرين ، ومِنهم في طبيعة الحال السلطان الذي كانت لبلاطهِ حصة الأسد من أسماء ألمع وأكبر شعراء العرب حَديثاً وقديماً . وهذا أمر طبيعي إذا أخذنا بالإعتبار أن السلطان صادق عمالقة الشعر. وأخذ بأيديهم إلى غاية سلم المجد .الذي علمهم كيفية صعوده فراقتهم ، وفضلوها على ظلمات تحت المقاصل . تتمثل النجاة منها في قول ما يـَليق بالسادة .

وتبقى لدى الكبار البراعة التي لم ينتزعها منهم الصغار حتى اليوم . ورغم أنه قد مرت على إنتهاء ملحمة الهجاء الأكبر تاريخياَ ، مُدة لا تقل عَن 1400سَنة . لا نتستطيع أن نتصور أن الهِجاء ليس مُستمراً . ولا يَجرنا إلى قراءة أبيات الهجاء الذي كان . إلا تشوقنا للهجاء الذي سيقدم غدا

ممثلاً في الشعرِ الحديث . عندما تتنافس الأقلام فيما كان يسمو به إثنين من بني تميم (وهما همام بن غالب الدارمي التميمي المعروف بالفرزدق - و جرير بن عطية اليربوعي التميمي) . وقد دار بينهما ذات مرة هذا الحِوار الذي ورثه العرب .

الفرزدق:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بنى لنَا بيتًا دعائمهُ أعزُّ وأطـــولُ

بَـــيتًا زُرَارَة مُحتَبٍ بفِنائِـهِ ومُجاشعٌ -1-وأبو الفوارسِ نهشلُ-1-

لا يَحْتبي بِفِـــنَاءِ بيتِكَ مِثْلَهـمْ أبدًا إذا عدَّ الفعـــالَ الأفضَــلُ

فيرد جرير ويقول:

أخزى الذي سَمَكَ السماء مجاشعًا وبنى بناءَكَ في الحضيضِ الأسفلِ

بيـــــــــتًا يُحمحمُ قينَكم بفنائه دنســـــــًا مقاعده خبيثُ المدخَلِ

قُـــــــتلَ الزّبيرُ وأنتَ عاقدُ حبوةٍ تـــــــــبًا لحبوتِكَ التي لم تحلَلِ

وأفاكَ غـــــدرُكَ بالزبير على منىً ومجـــــــرٌّ جعثِنِكم بذاتِ الحرملِ

بـــــــات الفرزدقُ يستجيرُ لنفسِه وعـــجانُ جعثنَ كالطريقِ المُعمِلِ

فيجيبه الفرزدق:

حُـــــلُلُ المُلوكِ لباسُنا في أهلِنا والسابغات إلى الوغـــى نتسربلُ

-1- مجاشع ونهشل هما من فرسان آهل بيت الفرزدق

فيردُّ جرير:

لا تذكروا حلـلَ المـــــــلوكِ فإنَّكم بعد الزبيرِ كحائضٍ لم تغْسِلِ

فيجيب الفرزدق:

أحلامُنا تزنُ الجبالَ رزانةً وتـــخالُنـــا جنًّا إذا ما نَجْهَـلُ

إنَّا لنضربُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ وأبـوك خـلف أتـــانـِهِ يـــتـقمَّـلُ

فيردُّ عليه جرير:

أبلغْ بنِي وقبانَ أنَّ حلومَهُم خَفَّتْ فلا يزنُـونَ حبَـةَ خَرْدَلِ

وحكمتْ العرب بالأغلبية لصالح جرير ، على الرغم من أن الفرزدق أصّدَقَ اللغة القول والعَمل ، وتَحَمْلَ عَنَاءَ تطْويرها ويَقول أبُو مَهدي البَاهِلي "لا يَزال الشُعرَاء مُوقوفين يوم القيامة حَتى يَجيء جَرِير فيَحْكم بَينهم[1]."

وسبحان الله الذي أنهى هذه المعركة الطويلة . بصلح لم يَشهده الفرزدق رغم أنه طرفه الثاني . بينما كان لجرير الحق في أن يَكون الطرف الأول في صُلْحٍ أبرمهُ يوم مات الفرزدق . وبدأ هذا الصُلح بقصيدة رثاء أبلغتْ الفقيد أن بلاغتهُ قد تمكنتْ من تأديب جَرير.

-1- كتاب الأغاني لأبو الفرج الأصفهاني،الجزء8،ص73

وكان جرير قد إنشغل "بمدحِ بني أمية ولازم الحَجاج بن يُوسف الثقفي زُهَاءَ العِشرين سنة -1-"

وهوالذي وضع سلاحه متواضعاً لمن أخذ روح خَصمه . وترك في الأرض كلماته التي خاطبها جرير ملاطفاً .

وقال جرير :

لَعُمري لقد أشجى تميماً وأده على نكبات الدهر موت الفرزدق

وتعني كلمة أشجى الفرح والسرور . كما تعني في الوقت نفسه الحزن والغم جراء خبر السؤ . وفي حالة الفرح تكتب الكلمة أشجى الحاضِرينَ بِأَغانيهِ أي أَطرَبَهُم وفي حالة الحزن تكتب بفتح الجيم ،أشجَى .(أنظر معجم المعاني)

وأيضا طلب جرير من الإنس والجن البكاء على الفرزدق .

لتبكي عليه الإنس والجن إذا ثوى فتى مُضرٍ في كل غربٍ ومشرق

وعلى ذكر الإنس والجن . ننتقي لكم بعض من قول العرب في من هزم أكثر من ثمانين شاعراً بهجائه وبباقي ألوان شعره . وهو قول الراعي النميري وفيه" «"الإنس والجن لو إجتمعت ما أغنوا فيه شيئاً-2-".

--1- أبو الفرج الأصفهاني . كتاب الأغاني . الهيئة المصرية العامة للكتاب .1993. ج8 . ص 285 /8 22

2- أخبار أبي تمام،ص 180

وأيضاً وجد الحق عند أبو مهدي الباهلي، وهو من علماء العرب . وجد أن لجرير رأي وقد عاد إليه بهزيمة خصومه فقال "لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم"[3-]

وبعدما رثى جرير الفرزدق . إنطلقتْ دَعْوَة في المشارق والمغارب . من أرض كان الفرزدق قد إنتهى في بطنها . وجائزتهُ مَن رَيع شِعره كَفنُ وجَفن أغمض للمرة الأخيرة . تعلمتْ العَرب طريقة للإكتفاء مِن الصِراع بالفِكر والبَلاغة واليُراع . والرُكون إلى أدب الجنائز بدُون تشمت أو خبث ذمة . على الرغم من أن جرير كان يستطيع مواصلة صرع الفرزدق حتى بعد الموت . ولكن كان الذي فعله رسالة للعرب والعالم . يُبلغهم بها أنه كان يُرسل هِجائه نحو بلاغة بن غالب ، ليتمكن من سماع صوتهِ وقراءة شعره والإطلاع على حَصادهِ اللغوي . واليوم وقد تحدث التاريخ بأحدث لغة ، وقال لجرير لقد كان لك ما أردتَ ، وإن الفرزدق بيننا في كتب التاريخ مهجواً مرثياً.

وللجاحظ الفضل الكبير في تطوير شعر جرير وغيره من الشعراء . حيث كلف نفسه عناء نقدمهم من أجل تقديمهم إلى الناس بشكل يُناسب رَغباتهم . فقال عَنه أنه مِن الذين "هجوا فوضعَوا مِن قدر مَن هجوا ، كَشأن زُهير وطرفة والأعَشى والنابغة -1- "

وأشعار جرير ليست للشعر فقط لآنها أفكار وللفكر أيضاً . وهذا لآنهُ تأدب بأدب الإسلام فإبتعد عَن المُجون وزهوه . وإعترف لَه الفرزدق بتفوقه عَليه مِن حَيث التقوى . وَقال (ما أحْوج جَرير مَع عِفته إلى صَلابة شِعري، وأحوجني مع فجوري إلي رقة شعرهِ)

-1-الجاحظ.البيان والتبيين.ت عبدالسلام محمد هارون.مكتبة الخانجي.القاهرة.1975.ج4.ص83

-3- الأغاني،ج8،ص73

-9-*دمعة على الأدب* ذرفها المنفلوطي عندما حَدث فراغ في سلطة الشعر الحديث

عندما مات * إمام الشعر البارودي، وإمام النثر محمد عبده، فجزعنا ما جزعنا، وسكبنا عَليهما من الدموع ما سكبنا[-1-] * نعم وربما بالفعل نعم ، لآن المنفلوطي كان قد لمس أن محمود سامي البارودي ، يستحق أن يُرثى بأحرف تضاهي أدبه الممتاز مصرياً وعربياً . سيما أنه كان رجل أدب وسياسة ،أي أنه سلطاني الروح برتبة عالية، وهي الوزير الأول المصري . وكان قد أفلح عندما مدح الرسول محمد بقصيدة أبياتها447.

ويَهدأ بن لطفي بعد غضب الحزن فيقول *ثم كفكفنا من تلك الدموع، وخفضنا من زفرات الضلوع، حينما سمعنا قول القائل: إنَّ في الباقي عزاءً عن الفاني، وإنَّ في الأبناء خلفًا من الآباء-1-*

وأبرز المنفلوطي حِدة الفراغ في سدة حُكم الشعر الحديث بالحديث حَول ما هي عليه حالة البلاد الصامتة أدبياً .. ليس صمت الخرصاء ، ولكن لآنها لم تكرر النجاحُ في الإنجاب بعد .

* ولقد كر على عَهدهما الشهر بعد الشهر، والدهر إثر الدهر، والأدب جاثٍ في مكمنه جاثمٌ، لم يُبعث من مرقده بعدما قبرناه-1-*

ومن يعرف المنفلوطي يفهم من كلماته ما يفتقر إليه أديب مثله .

وقد إحتاج إلى صحبة كسامي . صحبة لم يُرْضَى شوقي نفسه كبديل لها . ولا يزال مصطفى الحَزين ينثر نقداً ودمعاً عن الأدب لآنه :

* لم ينشر من قبره بعدما وارياه، فتساءلنا: أين الباقي الذي يزعمون، والخلف الذي يذكرون؟ أين فطاحل اللغة الأدبية لا السياسية، وأرباب الأقلام العربية لا الأعجمية؟ عذرنا المويلحي الكبير واليازجي؛ لأنهما ماتا ولحقا بصاحبيهما، فهل مات شوقي، وحافظ والبكري، والمويلحي الصغير؟ ما مات منهم أحد-1-*

ولم يَكتب المنفلوطي تساؤلاته كلها تحْت مُسمى الإحتمال وما ترك رأيه بدون الإلحاح والإصرار على أنه فعلا قد قال . وأبرز السوء والقبح الذي عثر عليه بدون بحث أو تنقيب في شعر الأمير شوقي ، وقصائد شاعر النيل حافظ إبراهيم .

فقال عندما أراد إعطاء العلامة الكاملة للبارودي ومحمد عبده *إنما كانت حياة الرجلين حياة الصناعتين، وكان لوجودهما سرٌمن الأسرار ينبعث في الألسنة فيطلقها، والأقلام فيجريه-1-

ولم يتركهما في أيام الجنازة والحزن بدون رأي يزن الجائزة والفوز. فصنفهما ممتازين قائلاً :*وكانت منزلتهما من الأحياء منزلة الأم من مصابيح الكهرباء، تشتعل المصابيح

بتيارها وتضيء بأسرارها، فإذا فرغت مادتها وإنقضى أجلها عم الظلام وإشتد الحلك، والمصابيح كما هي جسم بلا روح، ولفظٌ بلا معنى.-1-*

ثم أعلن المنفلوطي الحَرب على شوقيات ذاك العصر فقال:

* أما شوقي فقد طار في جو غير هذا الجو، وهام في وادٍ غير ذلك الوادي، وما زالت تعبث به الأنواء حتى أغرقته في شبرٍ من الماء!-1-*

وكان مصطفى سعيداً بعدم رضاه على حافظ . الذي ولدته سيدة تركية لآب مصري على متن قارب في ضفاف النيل ، فقال:

* أما حافظ فقد إنقضت حياته النثرية قبل إنقضاء البؤساء، أما حياته الشعرية، فلم يبقَ منها غير نظم المقالات السياسية من العام إلى العام، وأين هذه القيثارة البسيطة ذات اللحن الواحد من ذلك العود الأجوف الرنان الذي كنا نسمع منه مختلف الألحان وأفانين الأشجان؟-1-*

ورتب المنفلوطي باقي عتابه ولومه على أساس أنه ساخط . يحق له توزيع غضبه على كتابات البكري والمويلحي . اللذان يراهما :

قد قضيا حق التأليف هذا بصهاريجه، وذاك بفتراته، ثم لحقا بالسابقين، ومضيا على أثر الماضين-1-

ولآنه ربما يكون فعلاً قد لمس فراغاً في سلطة الشعر في العصر الحديث تسائل:
*أين الروضة الغناء التي كنا نتفيأ ظلالها، ونهصر أغصانها، ونقطف ما شئنا من
ورودها ورياحينها؟ وأين البلابل التي كانت تتنقل بين أشجارها، فتطرب بالأغاريد،*

ليس هذا فقط ما إفتقر إليه أديب يملك من مفردات اللغة وإمكانية تحويلها إلى لغة مفردات صعبة لا سهولة فيها إلا تحت تأثير قلمه . وقد طالب بكل ما إفتقر إليه بعد رحيل رجل بارودي . ويملك هيبة البارود التي *تستهوي بالأناشيد؟-1-*

وكانت غضبته واضحة ولغته الجميلة تبحث عن ملهميه لتستمر فُسحَتها في :
* الروضة الغناء التي كنا نتفيأ ظلالها، ونهصر أغصانها، ونقطف ما شئنا من ورودها ورياحينها -1-*
فهل سيدخل إليها مجددا أو سيعثر عنها بعدما توفى الله* البلابل التي كانت تتنقل بين أشجارها، فتطرب بالأغاريد،وتستهوي بالأناشيد-1-*

ونحن بدورنا لا نعجب بذاك الوضع ، بشرط أن يكون بن منفلوط قد أحسن تقييم تلك الأيام من ناحية مردود أدباءها .وقد ذكر مِنهم أمير وأسقط أحقيته بالحكم . وهذا يجبرنا على التحفظ على رأينا المضاف إلى رأيه . وله الحُرية في رأيه بدون تحفظ عليه . وقد جاء في رأيه أيضاً :

***أنا لا أعْجَبُ لشيءٍ عَجبي لهؤلاء الأدباء، يحزنون فلا يَبكون، ويطربون فلايضحكون، ويتألمون بلا أنين، ويعشقون بغير حنين.أيطرب البلبل فيغرد، ويشجى الحمام فينوح، ويطرب الشاعر ويشجى الكاتب فلا ينطق لسانهما ولا يهتز قلمهما؟!*[1]**

-1- كتاب النظرات لمصطفى لطفي المنفلوطي ، دمعة على الأدب397/ 338 ص - الناشرمؤسسة هنداوي سي آي سي – طبعة إلكترونية - ٢٠١٧ / ١ / المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦

-10- مقارنة بين الشعر الجاهلي وقصائد الشاعر الجزائري مُفدي زكريا.

جَزَائِر يَا مَطلَع المُعزات وَيَا حُجَة الله فِي الْكَائِنَـات

هذا بيت شعر بدأ به شاعر الثورة الجزائرية قصيدته ، إلياذة الجزائر . التي قال فيها كل شيء في 1000 بيت . إستطاع نظمها ليشرح ما شعر به جراء الوطنية . وما قام به أيام الثورة التحريرية . وهي فِعَال ومشَاعر يُقدمها لنا مُعتمدا عَلى عُروبته فِي كَامل زينتها . مِن بلاغة إلى بديع إلى أشمل المعاني .

وفي نفس الأبيات الألف ، لجأ مفدي زكريا إلى الحداثة . فقال كلمته التي سخط بها على المرأة العلمانية الجزائرية :

وبـــعضٌ تزوَّج بالأجنبيَّه وقال: مثقفةٌ حَضـريَّه

تُراقصني وتُراقص هَذا وذاك وتبعثُ عن حسنِ نيَّه

وفي إلياذة الجزائر الكثير من البلاغة والشاعرية . ومع هذا لم يَستسلم الشاعر ويُسلم إلى الله أمره . ويكتفي بما وضع عَليه قومه من جادة الصواب . فيُمدد قوله ليبلغ الألف بيت . قال في أولها إن الجزائر مطلع المعجزات . وكذلك حجة الله في الكائنات . أي هي من بين المُقدسات التي عندما تفهم سبب وجودها ، تقتنع بأن الله في الوجود.

ولا بد أنك ستعجب بالكثير من علوم وأدب مفدي زكريا . عندما يتأثر بالجزائرالجميلة .التي هداه جمالها ليخرج من الجاهلية . ويدخل في إسلامها ، سالكاً طريق حُسنها متوجها إلى ربهِ . ويظهر هذا في قولهِ:

فلولا جَمالُك مَا صَحَّ ديني وما إن عَرفتُ الطريقُ لربي!

ثم هناك شعب له نصيب من قلم مُفدي . الذي أقنعته ثورة التحرير الجزائرية بوجود شعب يُلبي نداء المجاهدين ، الذين كان من بينهم . وبالتالي أجبرته شجاعة الشعب على وضعه في منزلة مقدسة ، وصفها وصفاً يُساوي بينها وبين الإسلام:

ولولا العقيدَةُ تغمرُ قلبي لما كنتُ أُومن إلا بشعبي!

ومثل هذا الكلام الجاهلي موجود في كلامه رحمه الله- متوفي سنة 1977 بتونس - وموجود بكثرة تجعل شعره قريباً من أفكار الإنسان الجاهلي . أو المخضرم ، الذي عاصر الجاهلية والإسلام . ولكنك لا تستطيع الإنتباه إلى جاهلية شعره ،لآنه ينسج أبياتا لا تخلو من أسماء المكان والإنسان . اللذان يذكران بالأن ويُنسيان في سالف العصر والأوان. كالجزائر ومدنها وفرنسا وفتنها ، ومعالم بلاده وبلاد العرب والعالم . وكذلك تدُور الأفكار الأسَاسية لقصائده ، حول أحداث وقعت فِي العَصر الحديث . كحَرب التحرير والقضية الفلسطينية .

و طالما رسم مفدي إبتسامات للرب في أبيات شعرهِ . وقال أنه بريء مِن التي سَحرته ، والجزائر فقط هي من سَحرته . فمثلاً قال:

ويَا بَسمَةَ الرَّب فِي أرْضِهِ وَيَا وَجْهَهُ الضَاحِكَ القسَمَات

وعندما نفهم أنها أوصاف لوطنهِ ، نبتعد عن الشكِ في كونهِ شاعر جَاهلي . بَل ونفهم تلقائيا أنه قول شاعر سَماه والده *زكرياء - بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عَيسى . ولقبه زميله سُليمان بوجناح بلقب *مُفدي* . وعاش شهيراً بلقبه مُفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية[1].*

وكذلك يُغني مفدي زكريا لشهر الحرية والإنعتاق . ولا يسمح بأن يكون له أوصاف . يُفهم منها ما يُنقص من شهر النصر . وإندلاع ثورة التحرير في الفاتح من نوفمبر تشرين الأول 1954 فيقول :

نُـــــوفمْبَرُ جَلَّ جَلالُك فينا ألستَ الذي بَثَّ فينا الــيقينا

سَبحْنا على لججٍ من دمَانا وللنَّصْرِ رُحنا نسوقُ السفينا

وثُـــرنا، نفجّر نَارًا ونورًا ونصْنعُ من صُلبنا الثائرينا!؟

وبهذه الحُلول أصبح نوفمبر صاحب جلالة للأسباب كثيرة . أولها قدرته على إنتزاع تاج الإستعمار من فوق رأس –

فرنسا . وتحويله إلى تاج مُلك لمالك شرعي ، ووضعه فوق رأس الجزائري ، الذي أصبح حُرا بعد التضحيات. وإكتمل إيمان مفدي بفوز شعبه فقال :

هو الشعبُ ... آمنتُ بالشَّعبِ فردًا فَصِرتُ بخالقه مؤمنَا!

-1- -بلقاسم بن عبد الله، الأدب الجزائري وملحمة الثورة، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، ط2013 ،1، ص1 129.

-2- بلقاسم بن عبد الله، الأدب الجزائري وملحمة الثورة، ص129.

-10- هل توجد البلاغة في قصائد الشاعر نزار قباني؟

قبل الكلام حول بلاغة الشاعر نزار قباني نستذكر سوياً ألقابه وأقوال النقاد فيه:

قال النقاد عن نزارقباني أنه "مدرسة شعرية-1-" ولم يكن قولهم خطأ ، وتمكنت مدرسته من الحِفاظ على أبوابها مفتوحة . حتى أصبح نزار"حالة إجتماعية وظاهرة ثقافية -1-" . وبرز من بين أسماءه الإسم الذي إختاره له حسين بن حمزة الذي إعتبره "رئيس جمهورية الشعر-1-."

أما لقبه "أحد آباء القصيدة اليومية" الذي أطلقه عليه بن حمزة أيضاً ، فهو لقب يطلق على من قرّب الشعر من عامة الناس.-1-

وللأديب المصري أحمد عبد المُعطي حجاز، وصف أخر لنفس النزار. وهو وصفه له بكونهِ "شاعر حقيقي له لغته الخاصة. إلى جانب كونه جريئًا في لغته وإختيار موضوعاته-2-" . وفي دراسته النقدية ورأيه يتعمد حجاز إنتقاد جرأة الجريء جداً قباني فيقول إنها " وصلت في المرحلة الأخيرة من قصائده-2- "لما يشبه السباب.

ويقول الشاعر علي منصور *نزار قد حفر إسمه في الذاكرة الجماعيّة وأنه شكل حالة لدى الجمهور " ويشبهه بعمر بن أبي ربيعة في العصر الحديث -2-"

ومن بين أراء كثيرة قيلت في شعره السياسي يقول حسين بن حمزة ما خلاصته : " أذاق العرب صنوفًا من التقريظ جامعًا بين جلد الذات وجلد الحكام، في طريقة ناجعة للتنفيس عن الغضب والألم -1-."

-1-رئيس جمهورية الشعر - لمناسبة الذكرى العاشرة على وفاته، حسين بن حمزة، صحيفة الأخبار اللبنانية، العدد 512 تاريخ 29 نيسان 2008.

شعراء مصريون في ذكراه: العاشق باق والسياسي صلاحيته محدودة، محمد سعيد، صحيفة الأخبار اللبنانية، العدد 512 تاريخ 29 نيسان 2008.

ومثل هذه الأراء وغيرها تنبع من شعر نزار نفسه . لآنه أدب يجبرك على الإعتراف به ، حتى لو كنت غير موافق على ما جاء به وفيه ومن أجله . ويبقى للآديب الذي كتب قباني الشعر بإسمه دور بارز في تحديث مواضيع الشعر العربي الحديث "إذ ترأس طقوس الندب السياسي واللقاء الأول مع المحرمات [1]" . ولا يُوجد الأن بعدما كتب نزار وإنتهى من الكتابة ، من لا يعرف لغته من بين ألاف اللغات التي نـُثر بـِها الشعر، وَخُلِقَت تفعيلاته التي خَلَقت منافسة غير مُستمرة مع شاعر مُستمر رغم أنه مات . لتبقى لغته وقد قالوا فيها "إذ كان نزار مع الحداثة الشعرية، وكتب بلغة أقرب إلى الصحافة تصدم المتعوّد على المجازات الذهنية الكبرى. وقد ألقت حَداثته بظلال كثيفة على كل من كتب الشِعر، وذلك لِكون قصائد نزار سريعة الإنتشار[1]"

ورغم أنه كان رجلاً نظامياً ، خلقت له سلطته الشعبية المَشاكل . فقصيدته «خبز وحشيش وقمر» مثلاً نجحتْ في مهمة إغضاب ممثلي الشعب . وبدأت الجدال الكبيرفي دمشق و تحت قبة البرلمان . وحدث هذا عندما إعترض رجال الدين عليه معارضة طالبت بقتله . ولم يجد نزار طريقة للسكوت إلا داخل الوطن . أما في خارجه فقد واصل نشر قصيدته *خبز وحشيش وقمر*

-1-القارئ أولاً، وائل عبد الفتاح، صحيفة الأخبار اللبنانية، العدد 512 تاريخ 29 نيسان 2008 م.

ونبدأ طرح سؤالنا مرة أخرى ، هل توجد البلاغة في قصائد الشاعر نِزار قباني؟ ونبحث عَن الجواب عِند قباني وسيدته :

يا سيدتي أنتِ خلاصةُ كلِّ الشعرِ.. بهذه الصورة البلاغية خَطَبَ الشاعر سَيدته . التي إختلف النقاد في رسم صورتها الحقيقية . لتضعها دُور النشر على أغلفة دواوين نزار قباني ال36 . فمنهم من رَسم مَلامح سيدة من أنوثة وجمال . قالوا أن نزار عشقها فكتب لها . ومنهم من إستخرج من قصائد المرأة المكتوبة بقلم شاعرها صورة لوطن يرمز له بالضمير هي . وقال أن الوطن كلف نزار كل هذا الكم من التشبيه. وأصحاب هذا الرأي ليسوا كثيرا ومنهم نزار قباني نفسه . والبقية إقتنعوا ببلقيس زوجة الراحل ، وأحبوها كما فعل زوجها . منتهين إلى الإنتهاء من التفكير من أجل العثور على وجه لسيدتهِ . التي أطلق عليها الكثير من الصِفات ومنها قوله: أنتِ خلاصةُ كلِّ الشعرِ..

تفنن الراحل في بناء قصائدهِ بالمبالغة في الوصف . ولكنك عندما تكون شاعراً أو عاشقاً لقصائدهِ أو لك سيدة كمثل مولاته . تكون مُتحمساً إلى قولهِ الشهير ، الذي طالب فيه خصومه بعدم المساس بنصوصهِ الحضارية " وقد أثارت قصيدته - هوامش على دفتر النكسة - عاصفة في الوطن العربي وصلت إلى حد منع أشعاره في وسائل الإعلام "

وعندما تكون كما أشرت . يُمكنك عِندها الوصول إلى البلاغة فيما يَكتب . والتنازل عن الإعتقاد بكونها مبالغة . فمثلاً قولهُ:

يا سيِّدتي:

أنتِ خلاصةُ كلِّ الشعرِ..

ووردةُ كلِّ الحرياتْ.

يكفي أن أتهجى إسمَكِ..

حتى أصبحَ مَلكَ الشعرِ.. وفرعون الكلماتْ..

يكفي أن تعشقني إمرأةٌ مثلكِ..

حتى أدخُلَ في كتب التاريخِ..

وتُرفعَ من أجلي الرّاياتْ..

الأن هو وأنت قد أصبحتما من فراعنة الشعر . والسبب هو سيادتها . وبسيادتها من حقكما التبارك بأسماء تُهجى فتجعل المتهجي ملك شعر . أما العشق فيعني أن العظمة قد حَدثتْ بمجرد حُدوثهِ ، وأن على التاريخ أن يكتب . وماذا سيكتب إذا كان الشاعر يُطالب برفع الرايات يوم يفوز حبهُ.

ولمن بلغته هذه المعاني من نزار. تُرفع نفس القبعة التي رفعت لشاعر أجهد نفسه وعشق سيدة . وعبر عن حبه لها بسهولة . وعندما طالبته بالبلاغة أبلغها أمنيته :

يا سيِّدتي:

كم أتمنى لو أحببتُكِ في عصر التَنْويرِ..

وفي عصر التصويرِ..

وفي عصرِ الرُوَّادْ

كم أتمنى لو قابلتُكِ يوماً في فلورنسَا أو قرطبةٍ.

أو في الكوفَةِ أو في حَلَبٍ.

أو في بيتٍ من حاراتِ الشامْ...

وهذه الأمنيات تعني أن سيدته تستحق لساناً ، أفخر من الذي أهداها به وجهه الجميل ملفوفا في قصيدة ورقية. وهو لسان من ألسنة عصر التنوير. أما وجهه الذي تستحقه مولاته فهو من وجوه عصر التصوير. كما تمنى لو كان في بدايتهِ حتى لا ينسى من شعر قرطبة وحلب والشام ، أي شيء يقال فيها ويحرمها منه.

خلاصة القول لا يَجوز أن نعتبر الشاعر نزار قباني من شعراء العرب عديمي البلاغة . فهو كثير التشبيه ، ووصلت جمله وقصائده ومعانيها إلى أذهان الجمهور. الذي يُعجب به لهذا السبب . وهو أسلوبه المميز المتقن الذي يُوجد فيه الفكر المميز .

-11- الذكاء الكفاحي بعبارات محمود درويش

كان الشاعر الفلسطيني محمود درويش قد تدرج في مناصب الحياة ، التي يتقلدها كل إنسان فلسطيني . لآنه مطالب بتحرير الأرض و بالعودة إليها . ومعني بتلقين دروس في الصمود والشجاعة للعدو الإسرائيلي والمستعمر الغاشم . ومن نتاج وثمار هذا التدرج ، بلوغه سن الرشد . الذي أصبح ببلوغه شاعراً بعدما كان مَشعوراً به . وهو طفل بين أيدي فلسطين المحتلة التي علمته البكاء . وليس إلا لترضعهِ ، وعَلمته عدم البكاء وليس إلا لتبكيهِ . فهي الوطن الذي أرضهُ قبور للشهداء ودمعهُ عز للرجال والنساء .

وأصبح الشاعر محمود درويش فقيد أمتنا سنة 2008م. بعدما أصبحتْ الأمة تُجيد الذكاء الكفاحي بعباراتهِ . وكذلك عباراته تجيد طرح الأسئلة عَلينا ، في ظل غيابه . وإليكم على سبيل المثال سؤال :

ما هو دورك؟

لا أريد الجواب

لأنني لا أريد مزيدا من العذاب

ولا مزيدا من الإغتراب.

ولكن، لا تأكل أولادك، مهما كانت الأسباب!!

ولو قلنا أن الراحل يَقصد طرح سؤاله بعدما يموت . سيكون قوله : لا أريد الجواب ، معناه أنه قد أكمل مهمته وعلمنا الذكاء الكفاحي . وهذا صحيح ، بدليل أننا اليوم نستخدم عباراته في الكفاح . أو على الأقل لعدم أكل الأولاد.

درويش عاش 67سنة وألف 15 ديواناً . وقد مر على مراحل أثناء تأليفه لشعره المقسم نقدياً إلى أقسام يلتزم بها كل شاعر من غير المتدينين أو المتصوفين . أي أن شعره جمع بين الوطنية "القضية الفلسطينية" وبالمنفى .وقد طور الشاعرأسلوبه بشكل ملحوظ وسريع . وإعتمد على أسلوب الخطابة المصنوع من البلاغة . التي أقنعت شعبه والشعب العربي . فسمح الجميع لدرويش بإسماعه . وشهد له بتطور دلالات شعره .المنفتح على دلالات أوسع من تلك الحاضرة في عقول محاضرين معاصرين ينتمون إلى مدرسة فلسطين الشـَاعِرَة بهم وبدم الثائر غصباً على اليهود .

وقد إكتسبت أجناد الأمة العربية، طريقة علمية أدبية . دخلت بها التاريخ وفهمت بها الدين . وتكيفت بفضلها مع الأسطورة . وهذا بفضل بلاغة الأدب الحديث ،الذي يُصنف ذكاء كفاحي .

أعراس .. إنها القصيدة كلها وعنوانها أعراس . يوم إحتجت طائرات الإحتلال على لقاء العريس بفاطمة على حِبال الزغاريد . طائرة غبية لمْ تفهم أن مُحمد مُجدداً

شهيدا في يوم العرس . قتلته وعادت أدراجها ، ومن فرط حماقتها تركت النساء .اللائي زغردن وزغردن وزغردن . ووافقن على الزواج من مُحمد ، مُحمد لقد تزوجتَ جميع الفتيات . وإنتهى العُرس الذي بدأته اليهودية بمأتم . وبدأ العُرس الذي أعاده من جبهة القتال .

وكان درويش قد وضع في قصيدة أعراس الكثير من الرسائل . ولم يَشرحها أو يُوضحها بالكلام المطول أو الناري المُحسن وغير المُحسن . وإكتفى بالإشارة إلى أن الروح الفلسطينية تتكاثر في نفس المكان الذي سقطت فيه . وتتزوج في ساعات إستراحة المحارب . ولم يُكثر من عِبارات الذكَاء الكِفاحي فِي أعَراس . لآنه إكْتفى بإطلاق إسم مُحمد عَلى العَريس الشهيد العَريس .

لا بأس على رأسكَ يا فقيد فلسطين والعرب والكفاح الدوار حول مصباح اللهب . لا بأس على بأسك الذي أخَافه القمر ثم لا عَليك ..فالمَرآة في وَطنك وأمتكَ ليْستْ مِن حجر وهناك مَن صُورك مَا يَكفي للصُمود فِي ذكاء كِفاحي يُخلص ويُنجي خائف مِن القمر

خبّئيني. أتى القمر

ليت مرآتنا حجر

ألف سرّ سري

وصدرك عار

و عيون على الشجر

لا تغطّي كواكبا

ترشح الملح و الخدر

خبّئيني.. من القمر

وجه أمسي مسافر

ويدانا على سفر

منزلي كان خندقا

لا أراجيح للقمر..

خبّئيني.. بوحدتي

كذلك توجد حِيل أخرى للإختباء من الأقمار الصناعية .التي لا يَخشاها أمثال درويش ، إلا من أجل الصمود ومواصلة كتابة الرسالة . التي كلما قرروا خطها بالدم سهل الله عليهم طرق الأدب . وهذا له معنى يؤدي فهمه إلى إكتشاف عبارات الذكاء الكِفاحي في 15من كتب درويش الشعرية .ساعده الله على كتابتها بما يَكفي من البلاغة . لتكون نصيب الفرد والمجتمع من ما يُقرأ في سبيل تحرير فلسطين.وعلق يوم إستشاهده إلى يوم رحيلهِ بسكوت القلب سكوتاً عادياً .

عندما تسمع وتقرأ أشعار درويش .وتربط رأيك فيها برأي نقاد كبار. تجد نفسك في حاجة إلى قول المزيد عنها

لآنك تلاحظ أنها غنية بالإجابيات التي إنتبه إليها النقاد . ولم يعلقوا عليها بما يكفي ، لتكون موجة أخرى من موجات الإعجاب بالدروشة الأصيلة .

ومن بين الأراء النقدية في شعر درويش التي عملت بها النخبة المثقفة العربية . برز قول ناقد قسم شعر درويش إلى عدة أقسام . يجمع بينها علاقة الشاعر بوطنه وبقضيته وبالمنفى وترك الديار ، وكل ذلك في ظل علاقته بالذات. وقد قسم الناقد محمد فكري الجزار عُمر شِعر درويش إلى أقسام بقواسم مشتركة . تمثلتْ في علاقة الشاعر بوطنه فلسطين . ثم بالمنفى وهجر الديار ، وبرع درويش من خلال علاقته بذاته ، برع في تأديب شعبه وأمته بقصائد كبيرة . وقد قسمت أشعارها إلى ثلاثة أقسام حسب الناقد محمد فكري الجزار " المرحلة الأولى وهي مرحلة تواجده في الوطن . المرحلة الثانية، وهي مرحلة الوعي الثوري. والتي إمتدت إلى عام 1982 م. أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الوعي المُمكن والحُلم الإنساني -1-"

وكتب الناقد حسين حمزة ما أوضح به ما إستفاده من شعر درويش . الذي وجد أنه أدب يجوز أن يُقسم إلى مراحل . يستطيع المُتمعن في رحلة عمر شعر درويش ملاحظة وجُودها . وهِي ثلاثة أقسام ، تبدأ بعلاقة الشاعر بنصه الشعري فنياً . ثم بخارج نصه أيدولوجيا." أي كيف إنتقل درويش من الماركسية في المرحلة الأولى إلى

القومية العربية في المرحلة الثانية [1]" . ولهذا السؤال إجابة تتمثل في كون حركات التحرر لم تكن تطالب بقومية عربية ، بقدر ما يَشغلها الإستقلال . ثم بعد إستقلال الدول العربية بدأت مرحلة المطالبة بالوحدة العربية والقومية . وقد أثر هذا على الماركسية . وبعد القومية توجهت قصائد درويش إلى "الفكر الكوني الإنساني في المرحلة الثالثة دون إغفال فلسطينيته [1]".

-1- الجزار، محمد فكري. الخطاب الشعري عند محمود درويش. القاهرة: ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.

درويش لم يَكن أنانياً ، ليتعمد نسج قصائده بأسلوب يميزه عن بقية الشعراء . فيستقل بنوع خاص من الشعر . ولذا برزت كلماته المنسوجة على منوال أقرانه من كبار شعراء عصره . وعلى رأسهم نزار قباني وبدر شاكر السياب . وقد لاحظ الناقد حسين حمزة هذا التوجه في عقيدة درويش الأدبية . التي شَجَعَ بها كل مَن كَتب نصاً لتحرير فلسطين ،والدفاع عن أرضهِ وشعبه ولمس حُسين حمزة أقسام في مسيرة الشاعر درويش . فأبرزها مِن خلال ثلاث مراحل هِي الأخرى :

فالمرحلة الأولى (1960-1970) ويسميها حسين حمزة بمرحلة "الإتصال"-1- . وظهرت في هذه المرحلة رومنسية درويش التي كانت نتيجة تأثره بالتيار الرومنسي "في الشعر العربي المعاصر . وقد إحتدى بشعراء منهم السياب وقباني .

"المرحلة الثانية (1977-1983) وهي مرحلة أطلق عليها حسين حمزة بمرحلة" الإنتصال-1- " . ولم تختلف المرحلة الثانية عن الأولى كثيراً . وتميزت بتطوير الشاعر فيها لأسلوبه. و دلالات شعره لتنفتح عَلى دَلالات أوسع مِن تلك الحاضرة في البعد الأيدولوجي . وبَرع درويش في الإشارة

إلى " التاريخ والدين والأسطورة والأدب والحضارة . حيث أصبح شعرهُ غنياً بجميع الأساليب .

" المرحلة الثالثة والأخيرة (1983-2008) فقد أسماها الناقد حسين حمزة بمرحلة" الإنفصال -1-" " ولمح إلى أن الشاعر إنفصل بشكل واعٍ عن خطابه الأيدولوجي المباشر في شعره .

-1- حمزة، حسين. "محمود درويش، ظلال المعنى وحرير الكلام." موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث: الأدب المحلي، اعداد وتحرير ياسين كتاني. ط.1، ج.1. باقة الغربية: مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، 2011. 423-445.

12- لماذا تنقد الشعر بدل أن تكون شاعراً ..؟

لماذا تنقد الشعر بدل أن تكون شاعراً؟ ولا تقل لي أنك لا تعرف ، ولا تجيد بناء القصائد ، ولو بتأني وعلى مراحل . لا تقل هذا لي لآني وجدتك تقرأ في جميع أنواع القصائد . وتنقد قائلها وتستنتج أساليبها . و لا تغطي عُيوبها أو تتغطى بهَا . وأيضاً إكتشفتُ أنك تُحْسنُ الكتابة بطريقة فيها مِن البلاغة مَا لا يَمتلكه الشاعِر، الذي قمت بنقد أعماله . و فيها مِن العبقرية الشَاعرية مَا يُنسي القاريء فيما شرعت فِي نقده ، نقداً يُبقي للنص الذي أمامك ِولقائلهِ درجة ومرتبة ، هي أهم وأعلى مِنْ مَا تناله أنتَ .

ولا تزال أسئلتي متواصلة حتى أفهم . وربما سأفهم أنك تقصد أن تقول أن الشاعر قد أغواك . وبفنه سحرك وأنساك وشغلك بالتنقيب بين الصدر والعجز ، أو بين المنثور والرجز . وإذا كنت قد فعلت غير منتبه فإنتبه . وجرب تعلم كتابة الشعر . وسيكون الأمر سهلاً جداً . لآن القصيدة أول ما يُمكننا تشبيهها به هو السهل الممتنع . وصحيح أنت لا تعرف صُورها وجَوهرها قبل أن تقرأها . وغير صحيح كونك لا تعرفها . وقد تأتي بمثلها عِندما تسمعها أو تقرأها .

في بعض تحليلاتي للقصيدة أو لفن الشعر ككل . خلصت إلى كونه نوع من العدل في فن الكلام . وإقتنعتُ بأن الشاعر يقول كلاماً . هو في النهاية والبداية كأنه ذاك التلعثم الظاهر على ألسنة الأطفال ، عندما يتمدرسون

للمرة الأولى في حَياتهم . فهم وحدهم من يُفرحهم الكلام بنفس الإيقاع ، الذي تطربنا به القصائد . وهم وحدهم من لا يتوقفون عن تكرار جمل للمعلم والمُعلمة . حتى يكبروا قليلاً عن سن التلقي . ويَدخلوا مرحلة الإلقاء ، ويبدأ يومها الإدراك . لهذا لا تقل لي أنك لا تزال غير مُدرك . لماذا كل ما أنت فيه من تلعثم ، قبل كتابة قصيدتك الأولى . وهل فهمت أن كل ما كتبه الشعراء . لا يَعدو عن كونه دهشة أطفال . وتعبيراً عن فرحتهم بحصاد ألسنتهم .

ولآن الطفل لا يملك المعلومات الكافية للتعبير عن ما يدور في رأسه . يَبقى ذهنه مُرتاحاً من عملية نسج الشعر . وعندما يَكبر ويتغذى مُخه بالعلم . يسترجع ذاكرته ويشرع في المدح والهجاء والفرح والبكاء والدعاء والرجاء . ويعيد تأديب نفسه بنفسه . فهل يُمكنك الأن أيها الناقد الفاقد للشيء ،إستعادة الشعر وإعطائه إلى الطفل أنت . ليحوله إلى متاعب شاعر . أتمنى أنك لست حائرا فيما أقول . ولم تعد ذاك الصغيرالذي أبدع وكتب ألاف الكلمات في نقد عشرات الأبيات.

ولك أن تتعلم من هذه الأبيات التي نظمتها بنفسي :

لا تَنقد بِالحُرُوفِ صِدقَ الحُروفِ كالنَحْوِعَيشكَ حُراً والصُرُوفِ

وَكمَا قَال الشَاعِر مَنَ المُعْرُوفِ جَرِبْ قَولكَ مِنْ بَحْرِ الرُفُوّفِ

هَرمـــوا وَلا عِلمَ لكَ كَالصُوفِ تَقِيهُمْ البَردَ وَوِحْشَة الْكُهُوفِ

فلا تنقد بالحروف ..اللهم إلا إذا أعجبتكَ بلاغة فسكبت حِبرها القليل . على بقع تركها حبر المبالغة في مجلدات العرب . فمحوتها بحسن صنيع نُطيعك من أجله . حتى يرثك الله فتساق إلى أجله. وهكذا تكون قد أفنيت حياتكَ ،كالنحو حراً وكذلك كالصروف . وإني أيضاً قد أوجدت لك بحراً تكتب عليه قصائدك . وهو بحر الرفوف ، فجرب وأضف بعض الدواوين إليه . ولا أظن أن رُفوفنا ليست في حاجة إلى براعتك أيها الناقد الراقد أين ؟ هل أنتَ من أصحاب الكهف ؟ من فضلك كن من أصحاب الكَفِ وَكُفَ في الحال عن حُضور المَوت لتموت . ولا تخشاهم فقد هَرموا في كَهفهم بدون أن تشعر بهم . وأنت لا تَزال كالصُوف تُدافع عنهم حتى لا يُصيبهم البرد .

-13- عملية حسابية قام بها قاريء جحظت عيناه من فرط القراءة.

ليس طويلاً عمره كما يبدو في طول القصائد العربية الخالدة المعلقة قديماً على جدار الكعبة الشريفة . والمدونة حالياً على صفحات أمهات الكُتب . الشعر ولمن يَسأل عن بدايتهِ ونشأتهِ ، وحكاية ترأسه لمقومات الثقافة الجاهلية العربية . ترأساً جعلنا نذكره الأول في تلك الثقافة . وغالباً ما يَكون عُمره ومكان وتاريخ ظهوره الأول موضوع أهم الأسئلة التي تطرح ... وكالعادة لا بد من الإستفادة من أصحاب الريادة في كتابة التاريخ العربي ،

ومِنهم عَظيمهم الجاحظ . الذي سلط الضوء على مَقر الشعر الأول وقال :" وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن، أول من نهج سبيلهُ وسهلَ الطريق إليهِ ، أمروؤ القيس بن حجر ،وعُدي بن ربيعة (أبو ليلى المُهلهل)-1-". أول من رقق الشعر، ويَقول أمرئ القيس :

إن بني عوف إبتنوا حسناً ضيعه الدخلئُون إذ غــدروا

أدوا إلى جارهم خــفارته ولم يضع بالمغيب من نصروا

لا حميري وفى ولا عدس ولا أست عير يـــــحكها الثفر

لكـــن عوير وفــى بذمته لا قـــــــــصر عابه ولا عور

-1- الجاحظ في كتابه -الحيوان-

وكم كان عُمر الشعر عندما بدأ العام الأول للإسلام . مدة يَحسبها الجاحظ حسب المدة الفاصلة - بين فجر الإسلام وفجر الشعر بعمر زرارة - . وتسائل كم كان بين موت زرارة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام . لنجد أن المدة كانت مئة و خمسين سنة . وفي الحد الأقصى لن تكون أكثر من مئتي سنة.

ربما لا يوافق غالبية الناس على هذا الرأي ، الذي هو نتاج عملية حسابية قام بها قاريء جحظت عيناه من فرط القراءة . وربما يَكون ما حدث لعينيه هو سبب تردد خلاصته . وإستنتاجاته في مخطوطات مؤرخي الشعر الجاهلي . الذين يروون أن الشعر الجاهلي قد يكون بدأ في التاريخ الذي ذكره الجاحظ . ومن هذه المؤلفات (مثلا نيلدكه/ من تاريخ ونقد الشعر القديم/ من ترجمة د. عبدالرحمن بدوي في كتابه: "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"/ ط2/ دار العلم للملايين/ 1986م/ 19، وكارل بروكلمان/ تاريخ الأدب العربي/1/ ترجمة د. عبدالحليم النجار/ ط4/ دار المعارف/ 1977م/ 55، وأحمد الإسكندري ومصطفى عناني/ الوسيط في الأدب العربي وتاريخه/ ط4/ مطبعة المعارف ومكتبتها/ 1342هـ - 1924م/ 44- 45، وريجي بلاشير/ التأثيرات الوراثية والمشاكل التي تضعها رواية الشعر العتيق/ من ترجمة د. عبدالرحمن بدوي في كتابه: "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"/ 283، ود. شوقي ضيف/ العصر

الجاهلي/ ط7/ دار المعارف/ 1976م/ 38 - 39، ود. عبدالعزيز نبوي/ دراسات في الأدب الجاهلي/ ط3/ مكتبة الأنجلو المصرية/ 1999م/ 12 - 13) .

وهناك من يبتعد عن رأي الجاحظ الذي كتبه في كِتابه *الحَيوان* . و يُحدد مدة قرن قبل الإسلام على الأقل . ويقول أن هذه المُدة هي فقط ما يَكفي الشعراء لوضع الكم الهائل من القصائد . التي بُنيت عَليها اللغة العربية .التي بُني الإسلام ونزل الوحي إعتماداً على وجُودها ، وجود كفاية قابلة لنشر الدين الجديد آن ذاك. وصاحب هذا الرأي هو، أرنولد نيكلسون المُستشرق البريطاني المعروف .

وكي نصدق الجاحظ ، وفي الوقت نفسه نقرأ ونستفيد من الشعر الذي ورثناه عن العرب الأسلاف ، وأبرزهم الملك الضليل . إخترنا أن لا نجزم في ما لا يَجزم فيه إلا من هو أحق منا بالجزم في هذا الموضوع . ويبقى علينا أن نشير إلى أن الضليل وحده ، خلف شعراً يُكَذِب رَأي الجاحظ تكذيبًا شديدًا . سَواء مِن ناحية المِقدار أو مِن ناحية قيمته الفنية . التي جَعلتهم يَجعلوه أميرًا للشعراء الجاهليين .

خوفاً من أن يكون إعتماده على البلاغة فقط ، لا يَكفي لذبح كباش بنو أسد.

الملك الضليل هو- "جندح بن حُجر بن الحارث الكندي – الذي عَاش من 500 - 540 م . وهو تحت إسمه الأشهر -أُمْرُؤ القَيْس -1-"– اللقب الذي يُعرف به الشاعر العربي

ذو المكانة الرفيعة في الجاهلية وعند العرب على مر العُصور. وقد إختلفت المصادر في تسمية رأس الشعراء العرب ، حيث يُقال أنه هو جندح وحندج ومليكة وعُدي .

وقبيلته كندة كما يبرز في إسمه.وورد ت أسماء أخرى له في كتبِ التراث العربي ، ومنهاالمَلكُ الضِلّيل ، وذو القروح وكُنيته أبي وهب ، وأبي زيد، وأبي الحارث- 2- .

شعر أمرؤ القيس له علاقة بنسبه فهو بن أخت عدي بن ربيعة ، الزير سالم الذي قاسمه الدم والهم . حيث شهد أمرؤ القيس مقتل والده حجرعلى يد بنو أسد . وفقد المهلهل شقيقه الملك وائل بن ربيعة -كُليب- الذي قتله جساس بن مُرة . وكان أبو إمرؤ القيس أيضاً ملك بنو أسد. وهنا لدينا إجابة عن السؤال المتعلق بمصدرشاعرية وبلاغة وعبقرية الشاعر الأمير. الذي أثر فيَّا أنا أيضاً فنظمت شعراً أسأله به:

أحَقاً سَقيتَ دَم حَجرالخَمـــر ليَبلَغكَ مِن غد القَيُوم الأمرَ

وسِرتَ مُصبحاً يَكويهِ الجَمر قتيلهُ أسَدُ وَأنَّ لَهُ المَـــفَرَ

-1- الموجز في الشعر العربي -الجزء الأول صفحة28 - فالح الحجية

-2- الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، ص176. نسخة محفوظة 22 يونيو 2018 على موقع واي باك مشين.

وكنت قد قرأت أن موت الوالد حجر قتيل بني أسد . هو الحدث الأبرز ذو الأثرالأعظم على حياته . وسبب نقلة أشعاره من البسيطة ،التي لا تعدو كونها أمرؤ قيسيات قصيرة الصيت قليلة الذهب .إلى عظم المسؤولية والرسمية التي أصبح عليها . وقد قرر وعزم الإنتقام . أو لا تحلو له الحياة ما عاش قتلة والده . ويُرْوَى عنه أنه إلتزم بعدم البكاء والجزع فور إبلاغه بنبأ مصرع والده.

ضيعني صغيراً وحملني دمهُ كبيراً. لا صحو اليوم ولا سكر غدا. اليوم خمر وغدا أمر-1- . قال الملك الضليل هذا الكلام قبل نومة الإستعداد للإنتقام . التي كانت في دمون - من الأودية القريبة من حضرموت . وقد سمعوه يقول في والده :

ورغم أن ليلته الصعبة لم تبدأ بعدما بدأها هو بقوله :

تطاول الليل عَلينا دمون

إنا مـــــــــعشر يمانون

وإنا لآهلـــــــنا محبون

-1- أبو عبد الله, الحسين بن أحمد الزوزني (1993م). شرح المعلقات السبع (PDF). الدار العالمية.

ولآنه إستطاع إستخدام دم أهله ، وواصل شرب الخمر قبل تغيير الأمر برأي وأمر. رأيت أن أسأله ولو كان السؤال في غيرعصره. فربما أجد في العربِ مِثله ولو في شقهِ السكير.

أحَقاً سَقيتَ دَم حَجرالـــخَمر ليَبلَغكَ مِن غد القَيُوم الأمرَ

وسِرتَ مُصبحاً يَكويهِ الجَمر قتيلهُ أسَـــــدُ وَأنَّ لَهُ المَفرَ

وهذا معناه أنه إبن أباه ، الذي يجري دمه في عُروقه . والذي إختار لليلة موته عَدم البكاء . وأضاف إلى عَزمه وهمته صرامته . التي ساعدته على الإقلاع على شرب الخمر. تنفيذاً للآمر الذي إتخذه بنفسه ، رغم أنه لم يكن أكبر أشقائه .

وسِرتَ مُصبحاً يَكويهِ الجَمر قتيلهُ أسَدُ وَأنَّ لَهُ المَفرَ

سيره لم يتأخر إلا ليلة الخمر الأخيرة . وبعدها سار مُصبحاً ولا أحد يستطيع الشعوربه. لآنه من يعفس على الجمر، سبب تطوره في الأمر. ومضاعفة شجاعته التي حكم بها على قتلة والده بالموت . الذي زارهم به صباحاً وأنَّ لهم المفر .

ولا شيء إلا الكُفر بصنم لم يسمح له بسل سيفه لحرب ثأره . نعم لقد قال لا في - تبالة – الأرض التي مر بها عندما كان يقصد مضارب بنو أسد . وبها ذو الخلصة صنم من أصنام العرب . وكان من العرب المستقسمين عنده فإستقسم عنده وخرج القدح الناهي ثلاثة مرات . فكسره وضرب به وجه الصنم ذي الخلصة وقال: (عضضت بأير

أبيك لو كان أبوك المقتول لما عوقتني.) وبدأت حربه بمعصية ذي الخلصة ، الذي يبدو أنه كان يناصر بني أسد .لآن نتيجة الحرب جاءت لصالح أمرؤ القيس الذي قتلهم قتلاً ذريعاً.

وقد قال في بني كنانة عندما بخلوا عليه بسيوفهم ورماحهم وسهامهم ونسبهم .

ألا يا لهف نفسي، بعد قوم هم كانوا الشفاء، فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبـــيهم وبالأشقين ما كـــــان العقاب

وأفلتهن علـــــباء جريضاً ولو أدركنه صـــــفر الوطاب

ويعني بعلباء مسن شيخ و الجَريض معنى الغُصَّة. وفي رواية اليعقوبي كان إمرأ القيس قد قصد بني أسد في بداية حربه . وإستنجد بـقوم من بني كنانة فصاح قائلاً: " ياللثارات" . فأجابه القوم: " والله ما نحن إلا من كنانة " فقال : ألا يا لهف نفسي، بعد قوم ..مُكتشفاً أنهم هم الغم والهم . وبعدما كانوا الشفاء فلم يُصابوا . أي لم يجد فيهم أو عِندهم ما طلبه . ولا تزال بعض بلاد العرب تستخدم هذا المصطلح ،حتى الأن في العربية والعامية . حيث يقال: يُصَابُ ، يَنْصابُ ، تَنْصَابُ ..بمعنى قد أحتاجه ،أو قد أحتاجها. وهذا في تونس والجزائر على سبيل المثال.

مبلغ علمنا من تلك الحرب من حيث الخلاصة التاريخية . هو ما أوصله لنا قائدها الميداني ، وزعيمها الروحي ، وشاعرها الفذ . مُخلص أهله وزارع الأمل والثقة في النفس فيهم من جديد . وأصابت العرب كثيراً إنطلاقاً من حيث توقف . وتثقفت على لسانه وعلى يد بيانه الطولى ،التي أبلغت عن أمير كان للحرب نفسها نداً . ولم يكن عبداً للمزاج أو شريكا للمزاج . بل إن حتى الصنم ذي الخلصة لم يتمكن من نهيه بثلاثة أقداح ، طلبت منه وضع السلاح والإبتعاد عن فكرة الثأر لروح بقتل ألاف الأرواح .

وعندما تعلمنا صرنا كمعلمنا ، وقد جهزتُ لهذا النقد هذا البيت من نظمي :

وَبَلَغنَا عِنْدَمَا كَانَ اَلْسَيَّفُ أبْلَغـنَا

عَنْ أي شَرٍ بِالْشِعْرِ أُمْرُؤ أبْلَّغنَا

وعند الملك الضليل يأتي الذي تأولاناه قبل حدوثه وبعد وقوعه شراً. يأتي خيراً من كل حدب وصوب . لآنه قاد منصورين كانوا بموت والدهم مقهورين . كلهم عندما سمعوا النبأ بكوا، إلا - جندح بن حُجر بن الحارث الكندي - علم في أي ساعة هو. فتسلل رغم غيبوبة الخمر إلى ساحة إستفاقة القدر . وقال أشهر أقوال العرب من حيث الغرابة *اليوم خمر وغداً أمر*

السيف وهل نسأل عنه من جديد . وهل خلقه الله ليبدأ ويُعيد كان في يد قاتل حجر، عبيد بن الأبرص الأسدي . ومات

به حجر ليكون سبب في موت بنو أسد . الذين يستطيع فارسهم المغوار مع القتل قول الشعر. فقال موجها كلامه لأُمْرُؤ القيس:

يا ذا المعيرنا بقـــتل أبيه إذلالاً وحـــينا

أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً ومـينا

هلا على حجر بن أم قطام تبكي لا علينا

وكما يقول البيت الثالث بوضوح،ضاعف عُبيد بن الأبرص غضب أمرؤالقيس .عندما عيره وأمه وقبيلته ، وهدده بالخسارة . مُشيراً إلى أنه سيَجعله يَندم على إحتساب دماء بُنو أسد بدم حجر. وفي ما كتبه الرواة الثقة كان إمرؤ القيس فعلاً قد رفض الصُلح والعودة عَنهم . وقاتلهم حتى إنتصر عَليهم .

وقرأتُ في بعض الموسوعات العِلمية الإلكترونية . أن إمرؤ القيس سار نحو اليمن ومَكث فِيها. وعندما طلب المَدد أمده قومه بالدواب ، كالحمير والبغال والجياد . التي وصلته في الغالب من الملك ذي جذن الحَميري. ليفرح بها ويسير صوب بني أسد . وفي تلك المَعركة ، ربح فذبح عمرو بن الأشقر سيد بني أسد. وأيضاً قال في يوم النصر أبياته :

قولا لدودان نجد عبيد العصا ما غركم بالأســـد الباسل

قد قرت العينان من مـــالك ومن بني عمرو ومن كاهل

ومن بني غنم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل

نطــعنهم سلكى ومخلوجة لفـــــتك لأمين على نابل

إذ هن أقساط كرجل الـدبى أو كقطا كـــــاظمة الناهل

حتى تركناهم لدى معـرك أرجـــلهم كالخشب الشائل

حلت لي الخمر وكنت أمرأ عن شرّبها في شغل شاغل

فاليوم أسّقَى غير مُستحقب إثما من الله ولا واغـــــل

وإنتهتْ حَرب إمروُ القيس بفرحهِ . الذي أحل لنفسه به شرُب الخمر مُجدداً . وقد قال في شِعره أنه كان أمرأ مُبتعد عن السكر وعن الشرب ، في شغل الحرب . التي ماتت بنصره ، وولد به بيت شعره الخالد في التاريخ .الذي ذكر فيه أنه سيكون غير وَاغِلٌ .ولا أثم إذا شرب حتى الثمالة . والواغل تعني التوغل في الشيء بشكل غير قانوني ، أو بشكل قانوني . مثلاً أوغل في الكذب ، وأوغل الليل في الظلام.

ونستطيع أن نكتشف سلاح الإرادة التي كان في صدر الملك الضليل . فإستخدمه ليرى نفسه في النهاية بطلاً بفضل الإرادة ،التي صمم بفضلها على قيادة حرب ، لا تبقي أعداءه . وتذر بنوه وبنو عمومته وعموم أهله أعزاء أحياء . وأيضا أفرز صدره ما يكفيه من إرادة لتخطي عقبة ومشكلة السكير. الذي قد يُفسد عنه طريق اللاموت . ويوقعه في الأخطاء القاتلة . فعمد إلى التوقف أو تعليق شرب الخمر. حتى أجل تسمى يوم نصره . فعاد إلى الأقداح يملأها ويشربها ، مستبشراً بعدم صدق الصنم ذي الخلصة .

إنهم الملوك وما في صدورهم وعقولهم من حكم وأسباب رئاسة . وإنها إرادة إمرؤ القيس الفلاذية . ولربما يمكننا القول إنه الصنم إمرؤ القيس . إذا تذركنا أن إسمه كان نسبة لصنم عبدته العرب آن ذاك . ولم يتسلح لخوذ حربه ببلاغته فقط . لآنه يَعرف أن الرؤوس التي هو مُفَهمهاَ ربما لا تفهمه لغوياً ، وستسير خلفه سلطويا . وكيف يُخاطب من أبكاه موت والده من أشقائه . إلا كما فعل عندما أمسك دمعه كله ، وأفرحه إعلان الحرب !!؟. فشرح لهم ما يدور في فلك المستقبل بحد السيف ؟ خوفاً من أن يكون إعتماده على البلاغة فقط ، لا يَكفي لذبح كباش بنو أسد.

-14- يستطيع شعراء هذا العصر تعليق قصائدهم على جدران وسائل التواصل الإجتماعي.

لا توجد الكثير من الفوارق بينهما. فهما شِعران يَلتزمان بما هولازم لإستمرار الشعر بوتيرة ساربها منذ القديم . وهوعصرأولهما – الشعر الجاهلي – مروراً ووصولاً إلى اليوم والغد . أي إلى عَصر ثانيهما وهو – الشعر الحديث - الفوارق ليست كثيرة ، وتبقى واضحة بائنة لكل من قرأ، وقرأ الفرق فيما قرأ . فالجاهلي عِندما قال الشعر إستخدم من مُفردات اللغة الشائع والضائع . حِرصاً منه على حِماية اللغة.أما العَصري فقد قال الشعر بما على لسانه من حُروف ولم يُضف إلى قصائده المُصطلحات الصعبة التي لا

يستخدمها العرب في حياتهم بجميع مشاغلها وهمومها . وأكاد أجزم أنه بإستثناء هذا الفرق الوحيد لا توجد للفوارق بقية .

في العصر الحديث والحديث جداً، يَتوفر للإنسان العربي من الإمكانيات . ما يُمكنه من قراءة أكثر من كتاب في اليوم . يَقرأ من أي مكتبة في العالم يَشاء ، وخلال ثواني يُمكنه إستخدام المكتبة التي يُريد . ويَستطيع الحُصول على عَشرات الكتب ، أو المئات أو الألاف كما يَشاء . وأيضا يستطيع شعراء هذا العصر تعليق قصائدهم على جدران وسائل التواصل الإجتماعي . فيقرأها الجمهور بسهولة ويُسر .ويعلق برأيه الذي يُشجعُ ويُفيد الشاعر المعاصر .

وفي هذه النعمة الأدبية الإجتماعية يكمن الفرق الكبير الذي يخدم الشعر الحديث ، ليتفوق على الجاهلي والقديم . من حيث الحكم . وإعتماداً على الإمكانيات العظيمة المتوفرة لآدباء اليوم وشعراء هذا الجيل . من المتوقع أن ينجب العالم العربي عشرات ألاف الشعراء الكبار. بفضل الإستفادة من الكتب الإلكترونية المجانية .وإستخدامها في كتابة قصائد تضاهي تلك التي كتبها أمرؤ القيس،والمهلل وبن شداد،وغيرهم من الشعراء الألامع.

وعل سبيل المثال إقرأ مَعي ما كتبته لتسهيل تأكيد ما وضحته أعلاه . وقد وضعتُ بيتين من شعري الخاص :

مُتَلاَمِعُ سَهلُ القراءة سَاطِعُ حَديّثُ لا بَهَلٌ فِيهِ وَلا تـــــرَاجُعُ

عَرَبِيٌ بَلِيّغُ حــرْفُهُ القَاطعُ فالشمّسُ تـُلْهِمُهُ والجَامِعُ يُراجِعُ

ولا بد من التذكير بما يَلتزم به شعراء العصر الحديث من أدب وأخلاق ، وقواعد لغوية . وكذلك إنتمائهم إلى مدارس منها الأدبي التربوي ، ومنها الديني التربوي . وغيرها من المدارس التي تلزمنا بإنتاج ما تعلمنا . وحتى الشارع ومراكزه المتعددة المنتجة للثقافة العامة ، تـُسائلنا عن مصير ما كلفتنا به من أمانة . كما أن الذي يُراقبه المُشرع والقانون والشارع . يَبقى تحْت حُكم السُلطة ولا يَنتهي العَطاء في مِثل هذه الحَالات . إلا في حالة التمرد وحدوث ما هو غير قانوني . ولهذا رَكزتُ في شعري على الحرية التي نتمتع بها فتلهمنا . لنكتب ما نريد ونحن لسنا أحراراً تماما في الإختيار . لأننا نسجد لله رب العالمين . وإماننا به يبقى يظبط بلاغتنا . ونسبة وطريقة تدفق لغتنا المتطورة. التي نحولها إلى شعر عربي بليغ سيف حرفه قاطع .

ومن جماليات ما توصل الشاعر المعاصرإليه ، أدب مُتَلاَمِعُ وأيضاً سَهلُ القراءة سَاطِعُ . يَعني يَمشي عَلى هَدي نوره من يخشون الظلام . و قال نبينا الأكرم - ص- العلم نُورو الجهل ظلام . ومحاربة للظلام جاء الشعر. وبعد مرور أكثر من 1441سنة هجرية على نشأته ، جاء حَديّثُ لا بَهَلٌ فِيهِ وَلا تـَرَاجُعُ. والبُهل عند العرب يَعني اللعنة وقلة السلاح والحيل . وفي بعض المُجتمعات العربية في لهجاتها العامية

المستخدمة حالياً يَعني *التـبْوهِيلْ* أي إدعاء عَدم المَعرفة و*البُوهَالِي* هو شبه المجنون .

وهناك فترة عاشها العالم العربي والإسلامي لا أعادها الله علينا . وخلص منها شعب فلسطين المُحتلة . وهي فترة الإستدمار . الذي يُعرف بإسم الإستعمار.لأن الأعداء كانوا يروجون إلى أن سبب وجودهم في بلادنا هو الإعمار والإستثمار. وبالتالي هم مُستعمرين لهذا القصد . الذي أرادوه شريفاً على الرغم من كونه لم يَكن كذلك . وهذا الإستعمار ساهم وإلى حد كبير في ظهور التراجع اللغوي في عالمنا العربي . الذي فلتْ لسانه ، وإستخدم مئات الكلمات الأجنبية ، الفرنسية- الإنجلزية –الإيطالية- الإسبانية -البرتغالية التركية . ونسى مهمته في الحفاظ على لغته . وترك وراء ظهره ما يَجهله من لغة العرب ، والكثير من ما يعلمه .

وبعدما فعله الإستعمار وفعله وحده . بدأ التعريف يختلف بشكل خطير . وأصبحنا لا نستطيع الجمع على أساس المساوات بين عرب اليوم وعرب الأمس لغويا . وفي مجال الشعر أوجدت تعريفات لآنواع الشعر بشكل مطور يخالف التعريفات القديمة . التي لم نطورها ولم نبتدعها ، لآننا توارثناها عن الأسلاف من المؤرخين .

ويُعرف الشعر العربي الحديث على أساس أنه ما كُتب في العصر الحديث. وهو الزمن الحاضر المُعاصر الذي

تقرأ فيه أخبار الشعر من الصحف والمجلات . ويُشاهد فيه الشعراء في الفضائيات . وتـُعلق فيه القصائد على جدران وسائل التواصل الإجتماعي . وتـُروج فيه أبيات الشعر عن طريق الهواتف الذكية رخيصة الثمن في الأسواق ، إلى درجة أنـها في متناول أفقر الفقراء . ويأتي العصر الحديث للشعر بعد (- عصر النـهضة - عصر الإنـحطاط - العصر العباسي - العصر الأموي - صدر الإسلام - العصر الجاهلي).

أما التصنيف فكان ومنذ القديم ووفق دارسي الشعر العربي . الذين لا يروون إلا وجود فترتين أساسيتين وهما الشعر القديم والشعر الحديث . وعند جماعة التاريخ مؤرخو الأدب العربي . كان التصنيف في مجال الشعر العربي حساباً لفترات زمنية ،تواكب الزمن للدول تاريخياً وكذلك تحكم الشعر القطرية . ويبقى لكل وطن نوعه ولونـه الشعري الخاص به .

فعندما نقول كما قالت موسوعة موقع ويكيبديا الإلكترونية (إن الشعرالعربي القديم يُقصد به كل شعر عربي كتب قبل عصر الإنحطاط . كما يقصد به كل شعر كتب على نمطه فيما بعد. ويُمكن أن يُسمّى أيضاً بالشعر التقليدي .لكونه يسير في ركاب التبعية والتقليد، كما يُسمى بالشعر العمودي نسبة إلى أسلوب كتابة أشطره المتناظرة بشكل عمودي.) نفهم أننا في العصر الحديث أيضاً نملك القدرة على بناء

قصائد تصنف من نوع شعر عربي . وهي ليست مجرد قول لآنها مولودة . ولها من الأسماء مئات الألاف . قصائد ملأت الدواوين في زمن برهن فيه كثيرون من متعلمي اللغة العربية ، على أنهم يستطيعون صناعة العجائب ، بما رزقهم الله من بلاغة . ومن هاؤلائي على سبيل المثال أبو القاسم الشابي ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد شوقي ، ومفدي زكريا وغيرهم مِن مَن كتبوا الشعر الحديث من الشعر العربي بعد النهضة العربية. ويتميز الحديث بإختلافه عن القديم . من حيث الأسلوب ومن ناحية المضمون .وكذلك في البناء الفني لموسيقاه . لآن عصر الألة ساعده على التطور من حيث الإيقاع الموسيقي ، الذي يُسمى أساساً القافية . ويختلف الحديث عن القديم أيضاً في أغراضه وموضوعاته وفي أنواعه المستجدة والمختلفة.

وورد في موسوعة ويكيبديا الإلكترونية أيضاً / أن عصر الشعر الحديث بدأ بكتابة قصيدة أيام الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام - 1798 – 1801- وهي لشاعر من رواد النهضة /. ويشير الموقع إلى أن عصر الشعر الحديث مُستمر حتى هذه اللحظة . وعلى الرغم من أنه لم يشر إلى تاريخ اليوم بالتحديد . وأوقف العصر الحديث عند سنة 2010م . يُسعدنا أن نقول أنه هناك خلل ما في معلومات الموقع . لآن الأجدر به أن لا يُوقف تقدم العصر الحديث .

-15- أنواع النقد على سبيل المثال لا الحصر :

- أول النقد.

تقدم النقد من حيث أدبيات المهنة ، التي وكما هو معروف ليست حِكراً على العرب كأمة . أوعلى الشعر كفن يَضعه البعض في مرتبة العلوم . عندما يَكون قول نبي - ولرسل الله المثل الأعلى - وعندما يَكون من جعبة كبار العُلماء والفقهاء وشيوخ الإسلام، كإبن القيم الجوزية، أو بن تيمية أو الإمام الشافعي . وأصبح النص النقدي ضرورة يطلبها القراء . والمتذوقين كما يَطلبون الشعر أو القصص أو الروايات والمقالات . ولهذا السبب إلتزمنا بالبحث في المجال المطلوب . ورأينا يقول أن الناقد عندما يتلقى القصيدة يجد نفسه حائراً أولاً وقبل كل شيء . إذ كيف يتصرف وهل يَشرح للناس ما قاله أديبهم ونابغتهم فقط . أو يُنقص من شأنه ويُظهر لهم عُيوبه . ومن جهة أخرى توجد على الساحة الأدبية الحديثة جماعة نقاد لا يخشون أبيات شعر لم تعجبهم . ويُعبرون عن أرائهم فيها بحرية كبيرة . تصل إلى رمي ما يقرأون في سلة المُهملات بحجة أنه (هابط ، تافه ، كفر ، فجور ، رذيلة ، تطبيع ، متدني ، دون المتوسط ، إلخ)

= ثاني النقد :

وفي الحالة الثانية يَقبلون النصوص الشعرية ويُسمحُون بإضافتها إلى المكتبات كإرث أدبي عربي . ولا يقبلونها بدون شرط يسمح لهم بالإحتجاج على بعض أساليبها وكلماتها . فينقدونها مقترحين تعديلها ، كي تُعدل إلى غير قُبْح أو شُح ، أو فَرَحُ بَدل تَرَحْ أو ترحُ في محل فَرح .

وعلى سبيل المِثال أنا عندما أكون ناقداً من هاؤلائي الذين ذكرت وأقرأ هذا الخبر : سافر حافظ إبراهيم إلى سوريا، وعند زيارته للمجمع العلمي بدمشق قال هذين البيتين:

شكرت جميل صنعكم بدمعي ودمع العين مقياس الشعور

لأول مـــــــرة قد ذاق جفني - على ما ذاقه - دمع الســرور

سوف لن أسكت سكوتاً نهائياً على ما سمعتُ . والسبب هو لآني أعرفُ أن الدموع التي تذرفها التماسيح ، أكثر من التي تذرفها أعين تحكُمها قلوب تخشى رَبُ مُحمد والمسيح -عليهما الصلاة والسلام - وسأسمح بإعتبار الشاعر قد أبلغ بصدق وبلغة حاذقة ،وأشار إلى سعادته بيوم رأيته للجامع العلمي . ولكن وما أدراني بالذي أبكاه . ثم هل ذرف الدمع حقاً ، أو إنه إستخدم الكلمات للفت إنتباه القراء ،ومن كانوا حَوله من الناس .

أما البكاء كما هو.. بدون أن نضيف إليه معاني .أو أن نحسده على قدرته في إبتكار مزاج بلاغي ملائم يصفه أيما وصف . فهو الذي بذله دمعاً صادقاً مِن عينيهِ ، يوم رثى فلذة كبده فقال :

ولدي، قد طال سهدي ونحيبي جئتُ أدعوك فهلْ أنت مُجيبي؟

جئتُ أروي بدمـوعي مضجعاً فيهِ أودعتُ مِن الدنيا نصيبي

هذه أبيات لا غبار عليها . فقد مات ، رَحمه الله . هذا كل ما سنبذله من أجله وننصرف خارج منزل العزاء. وقد نقهقه ونحن لا نزال بداخله . أما والده فهو فينا الأشعر الأفقه . كيف لا وهو المطالب بالري كي تسقي دموعه مضجع تمكن من إحتواء نصيبه من الدنيا. وقد نصدقه حتى النهاية أيضا ،عندما يخبرنا بأنه جاء بعدما طال السهر حتى ساعات الأسهاد . وعندما طار النوم من عينيهِ قصدها في القبر.

= ثالث النقد :

وعندما تستعر نار المعركة بين الشاعر والناقد في بعض الحالات . يُصبح للناقد دَور أخر، أو لا يُوافق على ترك القصيدة مُعلقة حيث صَلبها قائِلها . مُتهماً إياها بالصدقِ والنزاهة والبلاغة والقدسية وحتى التدين .

وعلى سبيل المثال ماذا سيحدث لرأي حافظ إبراهيم ، وهو يشبه العِلم بالشر . ويُفضل الجاهلية على عَهد وزمن ولدته

فيهِ أمه "فوق مركب كان راسياً على ضفاف النيل أمام ديروط ، وهي قرية بمحافظة أسيوط .. -1-":

ولقد حسبت العلم فينا نعمة تأسو الضعيف ورحمة تتدفق

فإذا بنعمته بـــــلاء مرهق وإذا برحـــــمته قضاء مطبق

وسبحان الله إننا بعدما غضبنا من رأيه ، تذكرنا أن علماء ما في الأرض حديثاً . طوروا قنبلة وقتلوا بها الألاف من سكان ناغازاكي وهيروشيما . "و قتلت القنابل ما يصل إلى 140ألف شخص في هيروشيما، و80ألف في ناغازاكي بحلول نهاية سنة 1945 م-2-". ولهذا المُصاب الذي أصاب البشرية . أعلنا تأثرنا وتركنا للشاعر حق إعطاء العلامة لنفسه

-1- كبها ، مصطفى (2012) ، "إبراهيم ، حافظ" ، معجم السيرة الأفريقية ، دار نشر جامعة أكسفورد ، صفحة 127 ، ISBN 0195382072

-2-"الأسئلة المتداولة # 1". مؤسسة أبحاث الآثار الإشعاعية. مؤرشف من الأصل في 3 يونيو 2018.

إذا القصائد سترمى في سلال المهملات وهذا أولا . وستقبل مع الإحتجاج بحجة أنها ملوية اللسان طرية البيان فيها إعوجاج . وثالثاً ستكون مقبولة تحت تأثير القنابل .. لا علينا فلنطلع على رابع هذه القواعد النقدية .. في حكاية أخرى للعم حافظ إبراهيم . الذي أنجبه رجل من أصل مصري وأم تركية . ورأى النور فوق سفينة في أسيوط يوم 24 فبراير 1872 م - 21 يونيو 1932م. وهوشاعر مصري ذائع الصيت. عاصر أحمد شوقي .ولقب بشاعر النيل ، وشاعر الشعب - الشاعر محمد حافظ إبراهيم -

= رابع النقد:

رابع النقد هنا هو التقليد بطريقة دعك من ما قلت ، وإلتزم بكتابته بهذه الطريقة . (هذه قصة إبتكرتها لآشرح بها ما سَميته رابع النقد)

فمثلاً ما كان عندما نادى الشاعر حافظ الشيخَ محمد عبده ، في وقت كانت تُشد فيه الرحال إلى طنطا لزيارة السيد البدوي ، وقال حافظ :

إمامَ الهدى إني أرى القوم أبدعوا لهم بدعاً عنها الشريعة تعزف

وعندما يود من يود الرد عليه من قوم خاطبهم وخطب فيهم ليُظهر العيب فيهم . سيقولن له نعم أنت ترى القوم أبدعوا ، وحقاً رَأيُك . وهم لهم بدع عنها الشريعة تَعزف . ولكن

إنتبه فهي لا تعزف لآنهم أخطأوا ، وما عُزوفها إلا لآنها قد رَضتهم أأمة شفاعاً . فعزفتْ عن إصدار أي تشريع جديد ضِدهم . وهكذا تكون كلماته قد أعجبتهم وأغضبته ، فأضاف من غضباته بيتاً :

رأوا في قبور الميتين حياتهم فقاموا إلى تلك القبور وطوّفوا

وعندما سمعوه إنتقدوه وشرحوا له حَياتهم . التي رأوها مقبورة في أرض محفورة تضم أرواحا مأمورة . وأوضحوا له أين وكيف ولماذا تعَبَدُوا بَل عَبَدوا . ولمَّا بَلغه أن الكُفر لا يَزال جِوارهم . وأن إصلاح معاني كلماته هو أخلص قرارهم ، أضاف لوصيتهِ بيتاً :

وباتوا عليها جاثمين كأنهم على صنمٍ في الجاهلية عُكّفُ

وهذا ما يرونه رأياً مكشوفاً لشاعر معروف . قد قال فيهم سابقاً ما لم يُبقي لهم إيمانا في قلوبهم ، رغم أنهم أحِبة الله . فأرسلوا إليه بيت شعر عِندما فتح المخطوط وجده فقرأه وهو :

وباتوا عليها جاثمين كأنهم على صنمٍ في الجاهلية عُكّفُ

وذيلوا رسالتهم بعبارة أسلم تسلم يا حافظ إبراهيم .

(أنتهت المساحة المخصصة لرابع النقد)

= خامس النقد:

أظنه إذا لم أخطأ يُسمونه السِجال . وهذا في طبيعة الحال ليس إعتداء على السجال . لآنه سيبقيه قادراً على الخطاب

الخلافي . وتبقى أهدافه ترمي إلى دعم مواقف محددة . ولا يُؤثر على أسلحته التي من بينها الإدعاءات العدوانية التي تقوض الموقف المعارض . ويَسمح له بالظهور بسلاطة وروح التباري الأدبية . أيضاً في المُناقشات المُثيرة للجدل خطابياً ،دينياً ، سياسياً ،فلسفياً، نقدياً. ولهذه الوظائف يَقبل السجال أن يَكون خامس النقد ليتمتع بالمناظرة و المناقشة . بعيداً عن البساطة فيهما . لآنه لا بساطة في الِحجاج والإحتجاج . كي تموت حجة الخصم أو الخصم نفسه ، فيفوز السجال – خامس النقد - عَملياً لا نظرياً - ويَرث رأي الجمهور الذي أورثه فكره .

وفيما يلي مثالاً واضحاً صريحاً يَشرح - خامس النقد - ويَتمثل في وضعي لبيتين من الشعر سأساجل نفسي بهماَ

الشاعر الأول (أنا) :

لاَ عَازَ كِتَابُ مَن عَازهُ وَقدْ فَاز الكِتابُ لِمَن حَازهُ

وفي مرمى ما قلت قصدتُ : أن الكتاب إن شاء الله سوف لن يَبقى بدون قراءة . ما دام هناك من يَحتاجه . وأيضاً بمشيئة الله سيفوز الكتاب ، ما دام مُلاكه لهذا السبب طلبوه وإشتروه أو خطوه .

وسيجد الشاعر الثاني (أنا) نفسه مثطراً للرد عني فيقول :

الكِتابُ لِفاقد البَصرَ عُكّازهُ والبَصَرُ مِنَ الكِتابِ إعْجَازهُ

وبهذه الكيفية يتم نقد الشعر كما أشرت بطريقة – خامس النقد - الذي جرت العادة أن يكون سِجالاً . يكون أحيانا فيهِ الهدوء ، ونتاج حَربه برد وسلام على اللغة ومستخدميها . وأحيانا يَكون ملحمياً يتجاوز جدار الهدوء . ويبلغ مدارك الحمية والتحالف والخصام والغيرة والتلاص وإذا هدأ وأبطأت ريحه ، يكون تناص يقسم به الشاعر والناقد الأدوار . فإذا قال الأول نـَقده الثاني ، وإذا قال الثاني نقده الأول . ويبقى للشعر السمع و الطاعة ، لآنه منذ زمن يَسمح لخامس النقد بظبط مجلس الأساليب من حوله . وتجلس الأساليب حول الشعر تتفاخر بنفسها ، من حيث تأثيرها على الشعر الذي لا يستطيع الإكتمال بدونها .

وتنتشر في مواقع التواصل الإجتماعي منذ حَوالي5 سنوات كاملة . مجموعات وصفحات ومواقع تدير لأبطال السجال رحى حرب مجيدة مفيدة ، فوائدها أكيدة .وغالبية نهاياتها سعيدة موجودة جنبًا إلى جنبٍ مع نهايات المجد الرائع .التي حضت بها حِكايات الشعراء العرب القدماء . وفي تلك المُساجلات الإجتماعية العملاقة ، يَنمو بشكل يومي مُستمر - خامس النقد - الذي سبق لي وجربته وإشتركتُ فيه . وأهم تلك النوادي مجموعة أدبية بإسم – روائع الأقصى -

ولكثرة الأهواء والأراء وصعوبة البدأ والإنتهاء . يتعذر حصر أنواع النقد التي وصل بها الشعر إلى مجده وعزه في القديم والحديث . وقد إجتهد من العلماء من يشكر على

مجهوده ، ويأجر خيراً إن شاء الله . وتتمثل خلاصة أبحاثهم غالباً في كتب متشابهة القيمة متساوية المحتوى عِلمياً . ويَبقى ما يُحسب لمن وضعها هو أسلوبه الراقي في السرد اللغوي الذي يَشدك . فتترك غيره وتلجأ إليه ليعلمك ما تعلمته من سواه . ولم تفقه منه أكثر من ما أبلغك عنه رأسه المصدر . وهذا يَكون إذا إتفقنا سادس النقد ...

= سادس النقد:

يَعني كما أشرت في بداية بَحثي إنك تجد من يَقول ما يُغنيك عن مئة بيت شعر، أثناء شرحِه لبيت شعر واحد . ومن هاؤلائي العباقرة النابغة المصري مصطفى لطفي المنفلوطي الذي كتب بعض الشعر في بداياته ، وإنشغل عنه لاحقاً إلى كتابات المَقالات والقِصص المؤثرة المستوحات من الواقع . ويستطيع هذا النابغة وغيره من ملاك القرائح الماسية ، يستطيعون تعليمك الأدب في الصباح الباكر، إذا قرأت لهم ليلاً . هذا لآنك ستجد في نصوصهم (البلاغة ، والإيجاز ، والبيان ، والنظم ، والمخترع ،والبديع ، والمجاز ، والإستعارة ، والتشبيه ، والتجنيس ، والترديد ، و المطابقة والتكرار ، والإتساع ، والإشتراك ....إلخ)

وفي كتاب النظرات*1* يقول المنفلوطي في مقال مطول بعنوان البيان . ما يشرح به أهمية الإقتباس من أدب المُعلمين وأصحاب القصائد والكتب الخالدة ،إقتباسا بغرض التعلم . بشرط أن تتعلم فقط ، وتعيد الحق لآصحابه . وهذا طبعاً ينطبق على فنون شتى .

-1-أنظر النظرات (ص 455 من النسخة الإلكترونية لمؤسسة هنداوي للنشر)

-2-ولد سنة 390هـ المسيلة - الدولة الزيرية /توفي سنة 456 هـ صقلية – إيطاليا

ولسرقة الشعر أنواع هي (السلخ والإصطراف والإنتحال والإغارة والغصب والمرادفة والإهتدام والإلمام والإختلاس والمواردة) وهذا وفق ما وصل إليه إبن رشيق القيرواني أحد عظماء الأدب الجزائريين -2- .

وفي نفس الكتاب * كتاب / العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه * توصل بن رشيق إلى ما قسمه إلى أبواب تحتوي عوامل مساعدة في فهم التراث الشعري وهي : ذكر منازل القمر ، في ذكر الوقائع و الأيام ، في الأصول والنسب وغيرها.

= سابع النقد:

وفي بداية كلامي عن سابع النقد سأشير إلى أنه لم يستمر الشعر ، لآن باقي العوامل ساعدته على الإستمرار . وهذا بالطبع خطأ ، وإن لم يكن خطأ فهو إحتمال ضعيف تصديقه مُخيف . وتشير المعرفة البديهية إلى أن مجد الشعر كان ببلاغتهِ . وما سواها ، كأعجبني ، أغضبني ، أفرحني ، أحزنني ، أو حتى ها ها ها .. هي إشعارات يُعلق بها الجمهور . ويتفاعل مع النص الذي أبدع في التعبير به حامل لقب شاعر . وسيكون الأمر أوضح إذا كان الحديث عن جمهور تفاعل مع أمير الشعراء أو مليكهم أو أميرتهم مليكتهم .

ويلعب الشاعر في بعض الأحيان دوره في نقد شعرهِ . كي لا يسمح لغيره بحمل مشعل يرى به القاريء ما لم يقصده القائل . وهذا سابع النقد . وعندما يكون الأمر كذلك لا يتحرك ضد الشاعر أي فضولي . أو مُحدث شعري تطال نقدياته بنية أشعاره البلاغية .

كلامي لا يتعلق بقواعد أدبية تعود النقاد على تقاسمها لإستخدامها في نقد الشعر . المخلوق الذي لا ينقدونه من حيث إنتهوا ، لآنهم لا يَستطيعون فينقدونه من حيث بدأوا . وأسلوبي البلاغي هنا يتعلق بالصورة التي يَظهر فيها الناقد عندما يجد أصحاب القصائد نقاداً .

وعلى سبيل المثال والقول للمتنبي :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ولبعض العرب ألباب يدركون بها أن المتنبي قال كلاماً فقط أما الشعور الذي يُخفي الشعر فقد إستتر تحت الكلمات . وهي لكائنات وأشياء تعرف العبيد فتجعلهم سادة ، وتعرف السادة فتجعلهم كالعبيد . وها قد نقد قوله الذي كان تفاعلي معه بعد مئات السنين ، فلماذا أنقده وتحاصرني السين ؟

وقد يستغوي بعض النقاد فيجردون سيوف جرأتهم في وجه بلاغة المتنبي . ويَحتجون بقوة فهمهم على من إستخف بِعقولهم . ولم يقل لهم شيء في بيت شعر لا يجرأ عربي على عدم حِفظه. لا شيء إلا لإحتوائه بعض أسماء يَعرفونها وتعرفهم .

إن الوجه الآخير لبلاغة المُتنبي ، لا يَظهر ولَن يَظهر يَوماً ما .لآنه مَعنياً بالتأسيس للشعر، وسيبقى يتجدد ودوره في الحياة يُمدد لغايات أخرى . مشغولة أساساً بإبتكار الشعر . ويَبقى دَورنا نحن يتمثل في إطلاق الأسماء على روح المُتنبي ، وهي تعيش داخل أجسام كاملة . وعُقول ناعمة بفعل الحَداثة . مواليد أمتنا من سلالة مُتنبي وغير متنبي . مِن مَن كانوا هُم أيضاً عُظماء أدب . أقرباء قَلب و حملة لقب شاعر العَرب . ولَكن عِند كل هاؤلائي حَق ليس مُحتكراً في ممارسة سابع النقد . وإذا لم أسقط لكن التي أحضرتها . سأحسب مُتحسراً .والسبب نهي وحرماني من نقد الروائع . والحمد لله الذي جَعل حقهم ليس مُحتكراً لأنقد للمتنبي قولُ أخر:

عيد بأية حال عُدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أما الأحبة فالبيداء دُونهم فليت دونك بيدا دونها بيـــد

هذه كلماته من أشعر كلامه الذي هجى به كافوراً الإخشيدي ، وأبا شجاع، في زمن أقام فيه بمصر حسب عليه مُترقباً ، كان يتصيد الحَظ ويترقب فرصة نيل رفعة من كافور. فيعبد المجد الذي مشى إليه عبر طريق عبدته كلماته . وكان كافور خوافاً . وصدرت تعاليمه لتستبعد المتنبي عن مجلس الحُكم لتعاليه في شعرهِ وطموحهِ إلى الملك . وما كان من شاعر حلب والعرب إلا أن يهجوه فهجاه وسار نحو بغداد .

وخرج من مصر في يوم عيد . وكأنه قال في حكاية مختلفة أنه يؤسس لشعرية أخرى . يبنيها ليبدأ في كل عصر متسللاً إلى قُصور الُحكم . يَصنع مِن الإختلاف شدة الإتلاف . حكاية روح تستمد منها أجسام سكنتها ميزة الحضور الكلي بثوب العيد . وسلطة الشاعر تسأل ، بما مضى أم لأمر فيك تجديد؟ عيد بأية حال عُدت يا عيد.

معناها الأن وبعد تلك الحادثة بأكثر من ألف عام . عيد بأية حال عُدت يا عيد . والبيت يستريح من وحشة الغربة التي خلفها سكانه . وأين يَسكن سَاكن القصور بعدها . أما الأحبة فالبيداء دُونهم ،فليت دونك بيدا دونها بيد .

-16- بحثاً عن الصرامة في الشعر :

وقبل أن نبدأ البحث عن الصرامة في شعر العرب . لا بد أن نشير إلى أن اللغة العربية المسلمة ، التي تأسست منذ فجر الإسلام . وحتى الأن .. تعيش مقدسة في كتب ومخطوطات كبيرة . لا يسمح بلمسها ، فتنزل بسبب اللمس والتلامس بالألسنة السوقية الجاهلية إلى مستواها السابق . وتصبح كما كانت سابقاً ، لهجات خاصة بقبائل دون أخرى . تتفاخر بها أقطار عربية عن أقطار . وفي مثل هذه القضية درس وبحث الدكتور طه حسين . وأكد أنه لم يجد فرقاً في اللغة بين شعراء العصر الجاهلي . الذين كانوا كلهم على لسان واحد . وهذا طبعاً لم يلحظه الدكتور المصري الحائز على جائزة

نوبل للأداب . لم يلحظه في ذاك العصر . ولو أمكنه وفعل وشهد عنهم وعن أشعارهم في عَصرهم ، لإستطاع التمييز بين قول هذا وقول ذاك . وأظنه رحمه الله قد نسى أن اللغة أصلاً كانت بدون حماية . وكانت أعلى مراتبها هي كلمات العربي بصفة عامة ، في أي حادث وحديث . ولم تكن لها مؤسسات تعليمية تحميها أو جوامع الإسلام ،التي قادتها إلى الإرتفاع والقدسية .

ونتج عن هذا التغير ظهورما يسمى باللهجات التي ذكرها الدكتورطه مشيراًإلى أن*الرُّواة مُجمِعون على أنَّ قبائل العدنانية لم تكن متَّحِدة اللغة ولا متفقة اللهجة-1- *وهذا قبل الإسلام. وينفي الدكتور طه حُسين لمسه للفرق اللغوي بين الشعراء الجاهليين . مُكتشفاً بنفيهِ ما لم يستخرجهُ ويشرحه للناس كعادته . ولهذا يسعدني أن أكمل عنه رحمه الله . وأشير إلى أنه ما إنتبه إلى الصرامة في الشعر الجاهلي . التي وُجد بفضلها تنظيم العربية وإزدهارها كلغة . إلى حد لم يلحظه رحمه الله . لآنه لم يعاصر أولائك النوابغ الفنانين الذين تمكنوا من الإتحاد لغويا ، رغم أنهم من قبائل شتى .

ويشير الدكتور إلى أنه لا يجد فرقاً في ألسنة شعراء قبائل العرب بقوله (ولكنا لا نرى شيئًا من ذلك في الشعر الجاهليّ

فنرى بطولات .أمرئ القيس وزهير وعنترة ولبيد . ليس بينها إختلافٌ في اللهجة أو تباعدٌ في اللغة أوتباينٌ في مذهب الكلام . فنحن بين إثنتين :إما أن نُؤمن بأنَّه لم يكن هناك اختلافٌ بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة .ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي، وإما أنْ نعترفَ بأنَّ هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وإنَّما حُمل عليها حَملاً بعد الإسلام.)

للدكتور طه حسين، عن مطبعة دار الكتب المصرية » في الشعر الجاهلى 1 « صدرت الطبعة الأولى من كتاب بالقاهرة سنة ١٣٤٤ ه/١٩٢٦ م .وقد قسمه من الداخل إلى ثلاثة كتب — ما يوازي أبوابًا :الكتاب الأول ، من ص ١ إلى ص ٤١ وتحته عدة عناوين، والكتاب الثاني) أسباب انتحال الشعر (من ص ٤٢ إلى ١٢٤ .والكتاب الثالث) الشعر والشعراء (منص ١٢٥ إلىص ١٨٣

2 .شغل التمهيد في كتاب الدكتور طه حسين منص ١ حتىص ١٠

وكذلك قد تكون الصرامة في شعر الجاهلية وفجر الإسلام. هي ما رتب به العربي بيته وبيت الله الحَرام كما قلنا. ثم جاء فيما بعد الخليل بن أحمد الفراهيدي . ورتب بيت الشعر نفسه ، وكان هو أيضا صارماً وصنع من نسج خياله علم العروض وقسمه إلى 15 بحر ، ليكتب الشعر عليها . وهو أيضاً لم يخترعها أو يجدها إيجاداً . بل قرأ الشعر وقسمه إلى أنواع . والدليل على ما نقوله هو أنه وصل إلى بحر مهجور هَجره الشعراء . لآنه ركيك ثقيل على الأسماع وأطلق عليه إسم - بحر المديد .

-17- الصرامة في شعر تغلب:

نبدأ:

قالت العرب أن إبنة أخ الفارس العربي والشاعرعُدي بن ربيعة ، وإسمها اليمامة إبنة أباها الملك وائل بن ربيعة . قد قالت في عمها أبيات شعر عندما قتل وشعرها هو:

من مبلغ الحيين أَنّ مُهلهلاً أَضحى قتيلاً في الفلاة مُجندَّلا

وكانت اليمامة تجلس في مكان بعيد من أرض بعيدة .على البطحاء التي لفظ فيها عمها أنفاسه الأخيرة . ومات مغدورا مقتولاً بيد إثنين من العبيد . كان قد إشتراهما ليساعداه في حربه ، وهو شيخ كبير مكسور الظهر . وقد غدر به العبدان وقتلاه . وأثناء قتله لقنهما بيت شعرمشطور

ناقص غير كامل لا صرامة فيه .وطلب منهما إسماعه لآهله ، وكان من بقيتهم آن ذاك الجرو إبن أخوه وأخته اليمامة . ووصل العبدان بالشعر إلى مضارب تغلب . وقابلا سيد المكان الذي كان الجرو . وما إن سمع الجرو ما نسب إلى عمه من شعر . حتى إعترض وقال لهما كلام عادي لا صرامة فيه .لا يجوز أن يكون لعمي الزير الشاعر الفارس الذي لا ركاكة في شعره . وعرف عن أخته اليمامة أنها كانت قد أصبحت ممرورة بها بعض من الجنة وإختلاط المخ بالعقل . وكانت تغلب قد بدأت تأخذ من على لسانها الحكم . وقد سارت من مجلسها إلى مجلس أخاها ، وألقت على مسامعه شعر عمها كما يجب أن ينظم:

من مبلغ الحيين أن مُهلهلا أضحى قتيلاً في الفلآة مجندلا

لله دركما ودر أبـــــيكما لا يبرح العبدان حـــتى يقتلا

وفي هذه القصة دليل على أن الله أجرى في عروق تغلب صرامة . إستقت منها الشجاعة والبلاغة . وعاشت بحربها مقطوعة الرأس ، الذي لا يرفع إلا بالقطع .

الصرامة في الشعر الحديث
صرامة وبلاغة أنتجتا تاج البيان :

نعم كانت البلاغة في بدأ التكوين هي النبع الذي شوق الفرسان إلى إرتجال الشعر والترجل له طوعاً . لآنهم يعرفون أن صهوة الجياد لا تكفيهم كمطية توصلهم إلى أغراضهم ، وتوصل أغراضهم إليهم . فإمتطوا الشعر وإقتنعوا به جواداً لا يأكل الشعير . ومن خلال علاقتهم به فهموا كيف أن الله يضاعف لمن يشاء .

وهذا يؤكده تاريخ البلاغة القديمة التي يتهمونها حديثاً بكونها (ظلت تراوح نطاق الجملة . ولم يتح لها العبور الكامل إلى عالم النص-1-) . وخلاصة هذا القول ومثله من النقد هي أنه لا يعني أنّ الفكر الذي مارس به العرب الشعر في البداية . ليس صارما أو ليس كافيا ليصمد أمام كفائتنا في العصر الحديث . لآنه كان كافياً ويمكننا أن نكتشف قوته بأنفسنا ، لو وضعنا كل أدواته جانباً . ورددنا عليه بفكرنا الأعزل الذي سيكون إسمه في هذه الحالة ، تراثنا البلاغي النقدي . وستكون حالته فقر لغوي شديد .

-1-القول لعلي أحمد ديري من كتاب مجازات بها نرى ص 42

بصرامة يتصفح القارئ العربي كتب التراث العربي. ويَخرج مشدوهاً مشدوداً إلى إحياء ثقافتهِ والتمسك بها. غير مقر بأحقية العُنصر البشري الحديث ، في الحديث على إمكانية بلوغهِ مرتبة كبيرة في مجالات كثيرة . يرى الإنسان العربي وبشهادة متكررة ورأي ثابت . أنها لا تعود ولا تعاش حَالياً . فلا شاعر في نظر الجمهور إلا من علق قصيدته على جدار الكعبة . ولا فارس إلا من قتل بسيفه ألف حارس . ودخل قلعة مليكهم وجلس على كُرسي الحُكم بدله . ويستمر الجمهورالعربي في الولاء لعظماء تاريخه. الذين يستوقفونه كلما تصفح كتابا عبر الأنترنت . حيث يمكنه القراءة التي توصله لكل التاريخ . وإذا عاد من رحلة التاريخ إلى يومه الحديث . ستستوقفه المصطلحات العادية التي يكفي أن يسمعها أو يقرأها . حتى يبدأ الدفاع عن التراث بالنقد البناء .الذي يهدم به كل من شكك في مفهوم " النظام " . أي الصرامة التي لا بد أن تبقى أكبر وأكثر من مجرد إهتمامات نظرية نقدية قديمة . ويفكر الجمهور العربي أيضاً في تطوير النقد أو إلغائه . لتحل محله رغباته في إطارها الحديث . وهي في الغالب ثورات ما دامت الأمة العربية بعد الصبر ، لا تزال مقسمة إلى أوطان.

ومن بين ركائز الرأي والعلم والقراءة لدينا الجاحظ وما دام لدينا لنأخذ رأيه في الشعر، ورأيه هو:"أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ،سهل المخارج ،فتعلم أنه أفرغ إفراغا واحدا،وجرى على اللسان كما يجري الدهان-1-"

ويَعلو رأي من أعلى رأي القاريء الأكبر في التاريخ . ولهذا من سيأتينا بشعر لا إنقسام في أجزائه . ويخرج من مخارج الحروف بفرح ، ويدخل في الأذان بلطف . حتى نعلم أنه أفرغ إفراغا واحداً . وصل إلى لسان العرب فتذوقه ولمس فيه زيت الدهان وطعمه . من سيأتينا بمثل هكذا شعر سيكون لنا الفخر به . ونحن الذين لنا الفخرعندما نقول الجاحظ .

كما أعجبني رأي أخر لعربي معاصر وفارس من فرسان مصر . وهو محمود سامي البارودي . ويقول في تعريف الشعرهو " لغة خيالية يتألق وميضها في سماوة الفكر. فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب ،فيفيض بلألأتها نوراً يتصل خيطه بأسلة اللسان فينبعث بألوان من الحكمة ينبلج بها الحالك -2-"

وكنت في بداية قرائتي لرأي البارودي في الشعر. لأني لم أنتبه بسرعة إلى أن الشعر خيال . فقلت على الأقل هو الواقع. وأحياناً يطرأ عليهِ ما يجعلهُ مجازاً أو خيالاً . ثم تراجعت على التمسك برأي ولم أبطله نهائياً .

-1- ابن رشيق ، القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت ط 4 ، 1972 ، ص 414 . -2- مقدمة ديوان محمود سامي البارودي

وتبادر إلى ذهني هذا الرأي ، فنظمتُ منه بيت شعر يتيم :

وعلى أي حال حتى الشعر خيال رمانا وما رميناه به في البال

وعندما تقرأ سيرة البارودي الذاتية للمرة الأولى . ستتوقع أنه لا يمكن إلاَ أن يكون صارماً في حياته . وستبحث بالضرورة عن صرامة شعره . وأنت متأكداً من وجودها. لآنه كان وزيراً مُكلفاً بالداخلية ، في حكومة الخديوي توفيق ، وأيضاً فريق أول في جيشه .

وبرزت صرامته عندما حيَّ الخديوي توفيق .وهنأه بتولى عرش مصر. وكان آن ذاك قد طلب منه الإسراع في سن الدستور بشعره وهو :

سن المشورة وهـــي أكرم خطة يجري عليها كل راع مرشد

هي عصمة الدين التي أوحى بها رب العـباد إلى النبي محمد

فـــــمن إستعان بها تأيد ملكه ومن إســتهان بها لم يرشد

وكان البارودي من رواد الشعر العربي الحديث . وكتب منه ما أدخله إلى التاريخ ، وأدخل الشعر إلى الحداثة . وهذا على الرغم من أن للبارودي طرق أخرى للدخول إلى التاريخ . وأسباب منها رئاسته للوزراء من 4 فبراير 1882 إلى 17 يونيو 1882 . كما كان قد شغل منصب -

وزير الحربية. ورفع رواتب الجنود . وإستقال لآن الوزير الأول توفيق باشا هزمه بدسائسه لدى الخدوي. ولم يتمكن من إيصال دسائسه إلى قراءه ، فواصلوا القراءة له.علّه يُحدث أمراً يشرح صدر العرب للشعر بأسلوب حديث .

وفي قصيدة كشف الغمة عن سيد الأمة . وهي قصيدة من أربعة مئة وسبعة وأربعين بيتاً . كتب يمدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ،وهذا أول بيت منها :

يا رائد البرق يمّم دارة العلم واحْد الغَمام إلى حي بذي سلم

وهو بيت يبدأ القصيدة بصلاة إستسقاء يريدها الشاعر جلابة لماء السلام إلى غاية أكف سيد الأنام . وكما عَلِمْناَ هي قصيدة من 447بيتاً . ونسأل الله أن يكون الشاعر السامي قد وفق في وضعها . وأن يكون قد نجى من سخط النقاد . ونفذ من سم الخياط المنجي من أقلامهم الحمراء . وسبب دعائنا له هو إجتهاده في مدح الرسول . أما سبب إمكانية رفض قصيدة من النقاد فهو هذا الشرط (يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في إشتباه أولها بأخرها نسجا،وحسنا ،وفصاحة ،وجزالة ألفاظ ،ودقة معان وصواب تأليف-1-)

-1- لآبن طباطا في كتابه ،عيار الشعر، ص 167

البلاغة في شعر العصر الحديث

-19- الشاعر بدر شاكر السياب و"شعر بلاغة القضية " في قصائده .

البلاغة بين أرجاء المكان الذي أسكن فيه السياب قصيدته كانت موجودة وحجة وجودها على من يتهمها بالغياب هي المكان . الذي سقط فيه رأس السياب وليداً ، سُجل في دفاتر مواليد "جيكور " . قريته المتفرعة من البصرة .التي عندما أنجبته كان" عدد سكانها 500 نسمة[1]-". ومنهم السياب ، شاعراً فذّاً تميز شعره بالترحال بين إهتماماته المعاشيّة والإجتماعية والفكريّة. ويقول ما تقرأه من قلمه أنه قد كان بين يدي من عصَره الألم في شبابه . ويُوصف السياب عند النقاد المطلعين على شعره ،بشاعرالغربة القاسية .

ومنها ما عاشه وهو في بيت أبيه و في بيئته . وتورط في فؤاد شديد الحساسيّة لم يخرج من معاناته ." كما أنه لم يجد طريقاً لفتاة أحلامه التي لم يجدها [2]- " .

-1- بدر شاكر السياب ، عبد الحسين شعبان ، بيروت ، 1999 ، ص65 .

-2- الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المجلد الثاني، ص 637 - 638.

وأنتج ما أنتجته حياته تتبّع فكريّ وعاطفي تعمد السياب حساب حسبة عمره به . وإنتمى أثناء الحساب إلى الحركة الومانطيقية . التي شاعت في تلك الفترة في أوروبا وبلاد العرب . وفضل السياب المندفع تلك الحركة وجرت قصائده الأولى معها :

وهذه بعض كلمات مواطن من جيكور :

لا تزيديه لوعة فهو يلـــــــقاك لينسى لديك بعض إكتـــــئابه

قربي مقلتيك من قلـــــــبي الذاوي تري في الشحوب سر إنتحابه

وإنظري في غضونه صرخة اليأس وأشـــــــباح غابر من شبابه

لهفة تســـــرق الخطى بين جفنيه وحـــــــــلم يموت في أهدابه

وللرد على السياب ، وضعت هذا البيت . لآوضح به أنه لو كان غير واعي بما أصبحت العرب عليه من حداثة ، لما إستخف بفتاة أحلامهم ولقال لها :

إحتشمي فلا فضل لك على فارس ما غرته المدارس فقتل الخيام

وعلى كل حال كان الأمر في النهاية هداية . فقد أخلص السياب للعروبة وتاب . وفتح بالشعر عهداً للإشتراكية في كلماته وحياته ورومنطقيته ، التي إشتهرت بشدتها . وأراد السياب أن يكون له هدفاً مميزاً في الحياة . فقاد بلاغته إلى الثورة .وكلف نفسه عناء تعقب الظلم في صدور الخونة والظالمين . ومن بين ما هاجمهم به إخترنا :

واخيبتاه! ألن أعيش بغير موت الآخـــــــرين؟

والطيبات: من الرغيف، إلى النساء، إلى البنين

هـــــــي منة الموتى عليّ. فكيف أشفق بالأنام!؟

فلـــــــــــتمطرنهم القذائف بالحديد وبالضرام.

وهذا الشعر المزدهر في العالم العربي المعاصر ، لا يُلمس فيه بلاغة لغوية . وفي نفس الوقت لا يَخلو من البلاغة التي تعجب القاريء ، وتنبهه إلى القضية .ونستطيع إطلاق إسم "شعر بلاغة القضية " على شعر السياب . أي القضية كفيلة بالإبلاغ . ونحن أصحابها معنيين بالتأثر بما أبلغت . ويظهر من خلال تنبيهنا إلى خيبة الشاعر ، أنه قد طرأ على حياته شيء . وقد أعلمنا أنه قد فقد الأمل وخاب رجاءه . ولم يتمكن من توقيف جنائز يدفن فيها أبائه . بل أن القضية لديه أشد تعقيداً . فهو يفقد حتى الطبيعة . وما تقدمه له من الطيبات والرغيف . وتشير القضية أيضا إلى أن الوريث لا يقبل أكل الزاد الذي ورثه ، أو لمس النساء أو تربية البنين . إنه يكره مِنَنُ المَوتى . ويطالب عدالة السماء بإنصافه ليربح القضية بتكرار القصف حتى تموت أثار الموتى .

ويغلب طابع *شعر بلاغة القضية *على قصائد السياب . ومن بين أهم قضاياه تلك التي شجرت بين" مسقط رأسه جيكور وبغداد العاصمة [1]-". ولم يصبر الشاعر على قضيتهما لتحل بأمر قاضي ما . لم ينتظره لآنه قرر إصدار

الحُكم بنفسه . وأخلص الحب لمسقط رأسه . وأكد للجميع أنه لم يتمكن من حب مكان أخر في الأرض ،كما يُحِب قرية جيكور . وخسرت بغداد وعاشت وصيفة يُسعدها سماع قولهِ في مولاتها :

آه جيكور، جيكور؟
ما للضحى كالأصيل
يسحب النور مثل الجناح الكليل
ما لأكواخك المقفرات الكئيبة
يحبس الظل فيها نحيبه
أين أين الصبايا يوسوسن بين النخيل
عن هوى كالتماع النجوم الغريبة؟.
أين جيكور؟
جيكور ديوان شعري
موعد بين ألواح نعشي وقبري.

وها قد كشفت القضية عن سبب إحتفاظ جيكور لنفسها بشاعرها . إنه نصيبها التاريخي من الكلام ومن المُتكلم . وهو أيضا لم يتنازل عن أحق مكان في صدره بالألام . فتألم كما تعود ، ولم يرحل ليتألم في مكان أخر ، ربما تكون له قضية أخرى. لا تشرح لغير مواطنيها أساليبها البلاغية .

-1- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د.إحسان عباس، ص 94.

أبو القاسم الشابي و" بلاغة الطبيعة والعبر " في شعره

هو :شاعرمن أعلام تونس والعرب . مات كبيرا وعاش صغيراً .لآنه فارق الحياة مُبكراً نعتبره عاش صغيرا- 1909-1934 - أي لم يُعمرإلا شبابه . ولآنه أبدع وقدم الكثير خلال 33سنة نعتبره مات كبيراً . هو من الشعراء الذين يُقدمون عندما يأخذون . فكلما أخذ من اللغة شيء رده عليها شعراً ، تدونه في سجلات أصلها . وكلما أعطته الحياة حِكمة ،أوجدها مبلورة في بيت شعر لا تخطأ العرب فهمه مهم حدث . ولا تعتدي عليه الأعداء خشية مصرعها به . فتلجأ إلى إستدراجه والإملاء له . حتى يموت بفن هابط أو بكذاب أشر .

قدم الشابي شعره وفكره وهو مليئ بالعبارات المتينة البليغة . التي تصيب أيما إصابة فيرجح العقل ويتكيف مع الموضوع . وهذا بفضل دقة وروعة الشاعر . الذي يستخدم "بلاغة الطبيعة والعبر" في غالبية شعره ، المرتكز على نوع من البلاغة منتشر في العصر الحديث . ويُعتبر أبو القاسم الرائد في هذا المجال . لآننا نملك بعد وفاته كم هائل من الحِكم المُخزنة في أبيات شعرهِ .

مثلاً:

وَمَنْ لَمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الْحَيَـاةِ تَبَخَّـرَ في جَوِّهَـا وَإنْدَثَـر

هذا البيت الثالث من قصيدة الإرادة ، وأنا أعرف ولا أزال أذكر. أني كنتُ أحفظ مَطلعها ، وأنا في السادسة من العُمر . وحفظه أغلب من أعرفهم من الأطفال أيضاً ويقول مطلعها :

إذا الشّعبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَاةَ فـلا بـدّ أن يسـتجيب القـدرْ

وللأمانة والتاريخ ، كنا نحفظ حتى البيت الثاني :

ولا بُدَّ لِلَّيْلِ أنْ يَـــنْجَلِـي وَلا بُدَّ للقَيْدِ أَنْ يَـنْكَسِر

وربما لا يلاحظ غالبية الناس أن الشابي لم يخترع حِكماً لينصح بها الناس . وأنه فقط إستنتج العِبر من نفس الحكم ونطق النصائح بأسلوبه الخاص . وكان أنه أبدع وأبلغنا بأسلوب " بلاغة الطبيعة والعبر " . وليس بأمره أو بإجتهاده يَهلك من لا يعانقه شوق الحياة ، ولكن لآن الشاعر بحث عَنه فوجده قد تبخر في الجو ، ليندثر وتبقى الحياة بالآشواق تذاق .

ولمعرفتهِ بالقدرِ الذي يَسوقه الله لمن رفع أكف الدعاء يطلب خيره . أنشد مُبشراً بأن الخير سيأتي . ما دام يرى أمام ناظريه طلاب الحياة من أبناء شعبه .

وتستمر الإرادة بحثاً عن لغات كثيرة في الجوار . هي علينا صعبة ، والشابي لها . إنه يَسلك طريقاً إرتسمت له من فرط شاعريته . ووحده يَعرف أين سَيكون ضيفاً . وقد أبقانا بعيداً خشية أن لا نحسن المشي في مسالك لقلمه فيغرقنا الويل :

فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشْفُهُ الْحـيَاةُ مِنْ صَفْعَـةِ العَدَمِ المُنْتَصِر

كَذلِكَ قَالَـــتْ لِـيَ الكَائِنَاتُ وَحَدّثَنـي رُوحُـهَا الــمُسْتَتِر

وَدَمدَمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الفِـجَاجِ وَفَوْقَ الجِبَال وَتَحْتَ الشَّجَر

مع السلامة أيها الشاب العارف لكل هذه المعارف . لو لم تخبرنا بما أخبرت لودعناك فعلاً . بعدما نُصفع أو نُخدع بما تستتر به الكائنات ، من جلد خشن وأنياب مُكشرة . أو تقتلعنا الريح ، لآننا لا نسمع لدندناتها .

وقد تعلمنا أنه :

إذَا مَا طَمَحْتُ إلـى غَـــايَةٍ رَكِبْتُ الْمُنَى وَنَسِيتُ الحَذَر

ولتعلم إذاً أن غايتنا أيها الشهيد هي دراسة الشعر وكتابته . وقد شوقتني إلى كتابة شعراً أحبك به .. وأليك قولي :

غَرَستَ مِنْ كُلِ الشجَرِاليَابس فإخْضَرَتْ لكَ أرْضُ الْحِكَمْ

ونَهَرْتَ فِي كُل مَهجُورحَارِس فعَادَتْ حَيَاة القبُور وَالهِمَمْ

نعم لآنك أمسكت بما أصابه الجهل مِن حِكم العرب . وعَرَفتّ به مِن جديد . وأتقنت إسماع صَوتك للعالم الذي إحتفل بكَ عندما إنتهيت وتوفيتْ . في مستشفى الإيطاليين بتونس العاصمة ،عندما لم تتمكن من مقاومة مرض القلب وبَقيَتْ بعدك تونس ولا غبارعليها. فسارت متأكدة أنها تمشي إلى قبرك بإنتظام لتشكرك . لآنك نهرت حُراسها من الأدباء والعلماء . وتمكنت فعلاً من إعادة حياة ماتت وهمم إنثنت .

وَمَنْ يتهيب صُعـــُودَ الجِبَـالِ يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَـر

وسبحان الله الذي خلق الجبل ليشرح لنا ماذا يحدث في الحُفر. وخلق الشابي ليبني بيتاً من شعر في قمة الجبل . وقد أبلغتنا الطبيعة عن جدوى الهروب مِن القاع إلى القمة وهذهِ حسبة بسيطة يَفهمها الصامدون الذين يصمدون متسلقين للجبال ، ولا يقبلون صمود الكسل.

وعندما يَشعر الشابي بإرادة الأخرين يُعبرعن تبرعه بالشعور فيقول :

فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِمَاءُ الشَّبَـابِ وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيَاحٌ أُخَر

ولا مكان يتوفر في قلبه . بعدما جعله الرحمان متقلباً بفعل رياح أخرى ، تسوق سفن الشباب العربي التونسي . إنهم تلاميذه ، وهو موافق على التفكيرلهم . وجاري البحث عن حُلول لمشكلاتهم . وبالشعر يَشرح حالة المعلم والإمام والنبي والأب والأم والوطن المحتل آن ذاك .

-21- عمر أبو ريشة وبلاغة الوراثة في شعره

لآنها موجودة وتعيش في الكثير من الأسرِ ، بفعل التربية الحسنة والغايات المبيتة التي يغرسها الأهل في الأبناء . أردت أن أشير إليها من خلال إختياري لشخصية أدبية عربية . ورثتْ الشعر عن عائلة غالبيتها العُظمى أدباء كِبار. وإسم بَطلنا هو الشاعر عُمرأبوريشة ، الذي عاش من سنة 1910م ـ إلى غاية 1990م . الشاعر السوري

أبو ريشة ، من أبناء منبج التي سقط فيها رأسه في بيت نشأ يَقول الشعر بمُعظم أفراده ."وذهب عمر إلى باريس ليعيش أجواء الأدب الفرنسي، تولى عدة مناصب سياسية في بلاده وخارجها، وكان لهذه الرحلات الأثر الفعال في إغناء شاعريته وتلوينها"[1]..

النقاد في عَصرنا الحديث يرونهُ من كبار شعراء وأدباء العصرالحديث.وهذا ما أنجزه فعلاً حسب رأينا نحن أيضاً. وقد ساعدهُ وضعهُ الإجتماعي وسفرهُ للدراسة في إنجلترا ، ثم عَمل كسفير لجمهورية سوريا في ثمانية بلدان .على إكتساب مكانة مرموقة بين صُناع يوم الشعر العربي المعاصر .

وقال النقاد فيه ما لخصه موقع موسوعة ويكيبديا الإلكتروني فيما يلي : (هو الإنسان الشاعر الأديب الدبلوماسي الذي حمل في عقله وقلبه الحب والعاطفة للوطن وللإنسان وللتاريخ السوري والعربي وعبر في أعماله وشعره بأرقى وأبدع الصور والكلمات والمعاني.)

بالإضافة إلى كونه ورث الشعرعن أهلهِ في الحَاضر. يُحسب له أنه ورث بعضاً منهُ عن أهلهِ مِن سلالة الموالي ،التي ينتمي لها أجداده . ويقول نفس الموقع (ولد عمر أبو ريشة من عائلة تنحدر من الموالي، من آل حيار بن مهنا بن عيسى . وهم من الفضول نسبة إلى فضل بن ربيعة من

طيء . وكانت ولادة عمر بن شافع في منبج في محافظة حلب)

ولكونهِ مَثل بلاده دبلوماسياً ، ولأن والده كان قد شغل مناصب رفيعة في الدولة السورية . ظهر في شعرهِ نزعتهُ السياسية، التي ورثها عَن أهله والشعر وفيما يلي أبياتهِ من قصيدة شعب :

يـَا شـعبُ لا تشك الشقاء ولا تـــــطل فيه نـواحك
لـو لم تكـــن بيديك مجـ ـروحاًلضمدنا جـــــراحك
أنـت إنـــتقيت رجال أمـ ـرك وأرتقبت بهم صلاحك
فـإذا بـهم يـرخون فوق خـــــسيس دنياهم وشاحك
كـم مـرة خفروا عهو دك وإستقوا برضـــــاك راحك
أيسيل صدرك من جـرا حتهم و تعـــطيهم سلاحـك
لـهفي عليك أهـــــــكذا تـطوي عـــــلى ذل جناحك
لو لم تُبح لـــهواك علـ ـياءَالـــــحياة لما إستباحك

وقد أظهر الشاعر لشعبهِ أنه يستجديه بدبلوماسية وللدملوماسية بلاغة أيضاً . وبما ورثه عن أهله وما غرسه الأهل فيه .

-1- من كتاب: ملحمة النبي صلى الله عليه وسلم. تحليل ونقد احمد الخاني.

تمكن عمر من إستدراج عمرو،ونبهه إلى أنه الشعب عمرو. الذي يُتْرَكُ لنفسهِ كي يفهم منها ما صَنعهُ بها . وأخبره أنه حزيناً لآن الشعب يقرر مصيرهُ بالطريقة الخطأ.

ورث الشعر عنها وكذلك التصوف.ولم يُهمل الإرث ولم يتأفف منه أو يتخوف . وإستمر ذات الحجر المنقوش . الذي في العادة والأصل يطلق عليه إسم "الموالي". علمتهُ وإسمها " خيرة الله بنت إبراهيم علي نور الدين اليشرطي" وإسمها أيضاً والدته ، أمه التي كانت فتاة من عكا. بنت شيخ الطريقة الشاذلية. وبنوع من شاعريته، نفضله عن خالص نقدنا . يقول عمر عنها: «كانت طيَّب الله مثواها مكتبة ثمينة على رجلين، عنها حفظتُ الأشعار، والقصائد، والمطوّلات[1]». وهي أيضاً كانت تقول الشعر وتحفظ . وعمر يُذكر فيقول: «والدتي متصوفة منذ صغرها، أحاطتنا منذ صغرنا بعناية ذكية، وأشاعت حولنا جواً روحانياً، جعلنا لا نقيم وزناً للفوارق المذهبية، تربيتها أمدتني بقوة إستطعت بها ولوج دروب الحب. فالضعف يجعل من يبتلي به أضعف من أن يحب[2]»

-1- أنظر موسوعة ويكيبديا الإلكترونية العالمية ملف الشاعر ، عمر أبو ريشة

-2- أنظر موسوعة ويكيبديا الإلكترونية العالمية ملف الشاعر ، عمر أبو ريشة

ونود هنا أن نركز على صلته بوالدته وننقل ما قاله حَرفياً . لنعثرعلى كيفية إستلامه للآمانة . وإستيعابه للدرس وتفوقه في مدرسة أهله. قبل أن يكون لمدارس العَالميّنِ الغربي والعربي فضل أو تأثير عليه . يفوق نزعته الأسرية . وهذا وصفه لآمه بعدما تصوف وفق تصوفها .. يقول هي «عالم من الأنوثة زاخر بالحب مضيء بالرقة والحنان. غلبت عليها النزعة الصوفية، تشعر بالألم فتغني بصوتها الرخيم لتبدد الألم. أحبت من الشعراء المتصوفين علي وفا وبحر الصفا وعبد القادر الحمصي وحسن الحكيم[1-]». وقد أخبرنا عن حُب أمه الذي حدثته عنه فقال:«لقد إتسع حديثها دائماً للحب المحدود والحب المطلق للذات الكبرى، وعلاقة الإنسان بها[2-]».

ولد والده شافع بن الشيخ مصطفى أبو ريشة في القرعون وهذا حسب رواية عمر التي نشرها موقع ويكيبديا . وكان قد أصبح قائم مقام في منبج والخليل . وبعدها ناداه المنفى فقبل دعوته لسنين طويلة منفياً . وبعد سنوات النفي أصبح دائم الترحال . وأخيراًعودته من المنفى وكانت إلى حلب . أين قَبل منصب قائم مقام طرابلس. وفي مجال الشعر حرص شافع على البقاء شاعراً مجيداً. وشارك في ريثاء شوقي وحافظ وعمر المختار.

كذلك توارث الشعر والبلاغة أشقائه عن أهله. وظهرت بلاغة الوراثة في أعمالهم . حيث إشتهر منهم ظافر وزينب الشاعر ظافر وله ديوان "من نافذة الحب" طُبِعَ سنة 1981م،و ديوان "لحن المساء" .

ويبقى علينا أن نشير إلى أن الشاعر عمر أبو ريشة وعائلته،عاشوا في زمن غريب وغريب جداً.لآنهم لم ينالوا نصيبهم من الشهرة والعناية.فيما نال شعراء أقل منهم قلماً نالوا درجات كبيرة تصل إلى حد الأسطورة .

وربما كان رأينا فيه وطريقة تعاطينا مع نهجه ونشأه ، قد أغضبه فقال لآمه التي أورثته البلاغة ، ومن يفهمه سواها إذا لم نفهمهُ ، قال لها عنا :

تتساءلين علام يـــــــحيا هؤلاء الأشقياء ؟

المتعبون ودربـــــــــهم قفر ومرماهم هباء

الواجمون الذاهلون أمـــــــام نعش الكبرياء

الصابرون على الجراح المطرقون على الحياء

أنـــــــستهم الأيام ما ضحك الحياة وما البكاء

أزرت بـــــــدنياهم ولم تترك لهم فيها رجاء

تتـــــساءلين وكيف أدري ما يرون على البقاء ؟

إمـــــــضي لشأنك أسكتي أنا واحد من هؤلاء

وإذا كان قد أصبح من بيننا.هل تراه تنازل عن توريث الشعروتطويرالبلاغة بالوراثة.إذا كان لا يزال يقوم بنفس المهمة.ويحث على كتابة الشعرعلى طريقة الأهل، فإني كأني به يقول :

النبراتُ المتعثرات أضحكتْ سِنهن فيا أم عمر هلا صَرختِ فيهن

قولي ألـــــــف لفظ يَقطع أيديهن لآخرج من سجن صنعه مكرهن

وها أنا قد ألفت بيتين من الشعر،لآني أريد أن أشرح فهمي لغيري. ويتعلق ما لا أخفيه بالخطأ والخطر. ولآن الشاعر عمرأبو ريشة لا يُوجد بالكامل في حَياة شعبنا العربي . وهو الذي ولوأغفلنا دوره كشاعر وحسبنا حَياته كدبلوماسي ، لقلنا أنه شغل منصب سفير ثمانية مرات . منها سَفير سوريا(الجمهورية العربية المتحدة) في الهند ، وفي الولايات المتحدة والأرجنتين وتشيلي والبرازيل والنمسا . ومع هذا كانت له نبرات متعثرات أضحكت سن أمهات قررن عدم تربية أبناهن لآسباب يَعلمها الله . وأصبح من واجبنا الإستناد بأم عمر. لنتعلم منها أليات التربية السليمة أدبيا ودبلوماسيا. وهذا إذا حدث بالألفاض بحكم أنها رحلت .ولا يمكنها مساعدتنا بجسدها وروحها . سيتمكن من تقطيع أيديهن ،ونعيد أبنائها إلى عرش الأدب . بدل من سجن قلة الأدب .

وختاماً نشير إلى نص نبوي جلب له لقب شاعر محمد صلى الله عليه وسلم. وحسب الدكتور،حيدر غدير .هذا النص أي قصيدة محمد " فقد كان دائماً يضع بجوار عنوانها هذه الجملة: (مقدمة ملحمة النبي-1-")

ويضيف "التي لم تر النور على الرغم من كثرة الوعود وتطاول الأيام، وتقع في مئة بيت، وهي على البحر الخفيف الذي يؤثره الشاعر ولها روي واحد وهو الهمزة المكسورة المسبوقة بألف ممدودة-1- "

-1- عاشق المجد. حيدر غدير ط1 مؤسسة الرسالة ص 480.

-22- الشاعر: سميح القاسم إبن القضية وبلاغة الكوفية

سَميح: ولولا قسمات وجهه الكاملة،لما ظهر تحت الكوفية. ولد هكذا مُنسجماً مع النغم والحروف الذاتية الفلسطينية . هو قلماً لم يبريهِ كل الأجيال ، ولماذا يتابرون في سباقات بريهِ ، وهو الذي لا يُكسررأسهُ ، ولا ينتهي رصاصهُ . حتى عندما جاء دورهُ لينال نصيبه من النقد في بحثنا هذا . وجدنا أنفسنا مكتفين بما سمعنا من غيرنا وهم :(حسب موقع ويكيبديا الموسوعة الإلكترونية)

الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي: هو الشاعر الوحيد الذي تظهر في أعماله ملامح ما بعد الحداثة في الشِّعر العربي.

الكاتب سهيل كيوان: هو "هوميروس من الصحراء"

الشاعرة والباحثة الدكتورة رقية زيدان : هو"قيثارة فلسطين" و"متنبي فلسطين".

الشاعر والناقد الدكتور المتوكل طه: هو "شاعر العرب الأكبر"

الكاتب محمد علي طه : سميح القاسم هو "شاعر العروبة بلا منازع وبلا نقاش وبلا جدل".

الكاتب لطفي بولعابة: سميح القاسم هو "الشاعر القديس"

الكاتب عبد المجيد دقنيش : سميح القاسم هو "سيّد الأبجدية".

الكاتب الطيب شلبي : سميح القاسم هو "الرجل المتفوّق في قوة مخيلته والتي يصعب أن نجد مثلها لدى شعراء آخرين".

الشاعرة والكاتبة آمال موسى : إن سميح القاسم "مغني الربابة وشاعر الشمس، ويمتلك هذه العمارة وهذه القوة التي تسمح له بأن يكون البطل الدائم في عالمه الشعري".

وأنا بدوري أدليت بدلوي منذ سنوات . فأحسنت شاعرنا الكبيرسميح القاسم . أنت تستحق ما قالوه عنك ، وما نلته عن جدارة تامة . وكل ما أطلق عليك من الألقاب يليق بك . إلا إذا تأففت منه أو رقيته بنفسك الشعري الطويل إلى ما هو أسمى من ما أختاروه لك . وفيما قالوا أيضاً أنك كنت "شاعر المقاومة الفلسطينية" و "شاعر القومية العربية" و "الشاعر العملاق" . ومنهم أيضاً الناقد اللبناني محمد دكروب، والشاعر النبوئي اللذان قالا أن سميح القاسم يستق ما كتبه المرحوم الدكتور إميل توما ،الذي لقبه بشاعر الغضب الثوري .(حسب موقع ويكيبديا الموسوعة الإلكترونية)

ويقول الراحل الناقد المصري رجاء النقاش حسب موقع ويكيبديا الموسوعة الإلكترونية ، أنه يسمي سميح بإسم "شاعر الملاحم" و"شاعر المواقف الدرامية" و"شاعر

الصراع" . وفي رأي الدكتور عبد الرحمن ياغي قرأنا لقب أخر للشاعر الكبير وهو : "مارد سُجنَ في قمقم" . ونقده معبا به الدكتور ميشال سليمان وسماه شاعر "البناء الأوركسترالي للقصيدة" وهذا أيضا رأي شوقي خميس. وأخيراً قال الشاعر اللبناني الناقد حبيب صادق: "لسميح القاسم وجه له فرادة النبوّة".

والأن لنمر إلى قراءة بعض من ما كتبه ، وكل ما كتبه فيه بلاغة الكوفية المعبرة عن الهوية الفلسطينية . التي عندما تتحدث تُشعر الجميع بأن فلسطين حُرة مستقلة وتطرح السؤال الكبير "مَن يُقاوم مَن فِي القضية الفلسطينية ؟!؟

من أجمل ما كَتب سميح القاسم:

أنا قبل قرونْ

لم أتعوّد أن أكره

لكنّي مُكره أن أُشرِعَ رمحًا

لا يَعيَى في وجه التّنين

أن أشهر سيفًا من نار

أشهره في وجه البعل المأفون

أن أصبح إيليّا في القرن العشرين

وها قد ثار القديس وسمح لنفسه بلمس ما القدس عليه من سلام . وتلثم ببلاغة كوفيته وأعلن الحرب . متمكساً بحقهِ

التاريخي في السلام . منبهاً إلى أنه ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إل بواسطتها .

أنا، قبل قرون

لم أتعوّد أن أُلحد!

لكنّي أجلدْ آلهةً،

كانت في قلبي آلهةً

باعت شعبي في القرن العشرين!

وبَدَل الصلاة في القدس بفم مُطبق ، لا يحتج على تطرف الحاخمات اليهود والبابوات الصليبين . إنه يأسف فلا سكوت في ملأ فمهِ اليوم . وكيف يسكت من شرع في قتل الألهة ، التي شرَعَتْ شَرْعاً من قتل شعبه المقدس.

أنا قبل قرونْ

لم أطرد من بابي زائر

وفتحت عيوني ذات صباح

فإذا غلاّتي مسروقه

ورفيقةُ عمري مشنوقه

وإذا في ظهر صغيري، حقل جراح

وعرفت ضيوفي الغدَّارينْ

فزرعوا ببابي ألغامًا وخناجر

وحلفت بآثار السكّينْ

لن يدخل بيتي منهم زائر

في القرن العشرين !

أنا قبل قرون

وهذا المشهد يروي بوضوح كيف سيحرر شاعر بلاغة الكوفية وطنه . ويُحَرِمَهُ على الداخلين إليه ، إذا كانوا غزاة فسيطالهم القسم بأثار السكين.

ما كنت سوى شاعر

في حلقات الصوفيّينْ

لكني بركان ثائر في القرن العشرين

ولا بد لكل باحث أن لا يقسم رأيه عن رأي سابقيه من أبناء المكان على مر الزمان .وهو منهم وهو من سلالتهم المتصوفة قبل أن تتحول إلى بركان في زمن لجيل الغضب ما يقول فيه . وهل غضبت الأجيال برمتها إلا في القرن العشرين والحادي والعشرون .

وفي نهاية المساحة المُخصصة للكلام حول الشاعر سميح القاسم يُسعدني تذكره بهذا الشعر وهو من نظمي :

إقبل.. فالأرض لا تظلم أحداً

كبر مثلما طلبت منك

هذا كل شرطها كي تسمحَ لك فتكبر

ستنمو في حُسن تدبيرها

وتتعلم من ما فيه تفكر

فإقبل ما تعرضه الأرض عنكَ

فهي تريد أمسية من شعرك

للترويح عن العسكر

فلا ترحل بالكوفية والبلاغة هيَ

وإملأ الديوان بشُعورك

إملأه في كُل الأسطر

هذه كانت أشعاري تشبه طلب دولة فلسطين من الراحل سميح . و تدعوه فيه لمواصلة ملأ الديوان بالقصائد . التي لا تزال فكراً صاعداً إلى السماء ،روحا واحدة لا تتجزأ . لآنها قد توحدت في أثناء صراع الوجود التاريخي .الذي عاشته بلاده مع شعبهم لعنة الله عليهم .

نشرت جميع أراء النقاد في سميح القاسم في موقع ويكيبديا الموسوعة الإلكترونية ، ملف الشاعر سميح القاسم ، أطلع عليها في 25 يوليو 2020

-23- إبراهيم طوقان شاعربلاغة اللغة في العصرالحديث

في نبذة تعريفية بكتابه " الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم طوقان " نشرت مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة أراء بعض النقاد في طوقان . الذين وصفوه بالفارسُ الذي إعتَلى صهوة جوادِ الشعرِ العربي في العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين . وهذا التعبير الجميل يُشعرنا بأن دور طوقان كان يتمثل في إمتهان ركوب الخيل عن قصد ، كي يسهل عليه مهمة دليل تستخدمه اللغة للوصول إلى حاضرتنا الحديثة ، قادمة من صحرائها القديمة . وإستخدم إبراهيم شمس اللغة التي كانت برداً وسلاماً عليه . ومزج حَرارتها وطاقتها مع نصيبه اليومي من الحُريرات . ليساعد بالتالي عشقه وإيمانه بقضية وطنه فلسطين . وينجح في محاربة العدو ، إنطلاقاً من محرابه الذي يتعبَّدُ فيه.

ولخصت مؤسسة هِنداوي أراء النقاد في طوقان فيما يلي

(إن شعره قادرٌ على إستيعاب كل المراحل التي مرَّ بها الأدب العربي، وَرَأْي كامل السوافيري يُذكِّي هذا الرأي الذى تناولهُ في كتابه الأدب العربي المعاصر في فلسطين، حيث يرى أنه خاضَ مع شعراءٍ آخرين تجربة التمهيد للتجديد في المشهد الشعري الفلسطيني، وأنه الشاعر الخالد بخلود الإبداع، الفاني بفناء الجسد.)

لنقرأ بعضاً من أصله وفصله، فربما تخبرنا سيرته من أين أفصح . وأشعل الحروف في عيد ميلاد الشمس التي إنتبه لإسمها الحقيقي وإسمها الرسمي . فناداها ماما وخاطبها : يا فلسطين كوني بردا وسلاما على إبراهيم . فسمعته وفهمته وأكملت به غايتها مبكراً . وهو أيضا لم يعمر طويلا ، فقد كتب كل أغاني عيد ميلادها بسرعة ورحل .

هو إبراهيم عبد الفتاح طوقان ، ولد سنة 1905 م في نابلس فلسطين . و مات في 2 مايو 1941 في القدس، فلسطين . شاعر فلسطيني والأخ الشقيق لفدوى طوقان الملقبة بشاعرة فلسطين . ولأحمد طوقان رئيس وزراء الأردن في بداية سبعينيات القرن الماضي.

كل ما نشر حول سيرته الذاتية وحياته . يؤكد على أنه ولد في عالم من بيئة ثقافية وفكرية جيدة . وكان أهله يشبهون أهل الشاعر عمر أبو ريشة . وإشتهرت طوقان بالأسرة المتفتحة على الحياة والعمل والمطالعة والدراسة . كما أن جده أصلاً كان شاعراً. وقد صقلت موهبته وغذته لغة أمه التي كانت تقرأ له قصص وروايات لأدباء وكتاب مثل : قصص عنترة، أبي زيد الهلالي، سيف بن ذي يزن . وإنشغل الوالد بالمقابل في إعداده وإخوته للحياة.التي سلحهما ضدها باللباقة والحكمة والتطور وإكتساب المعرفة.

وإكتسب طوقان بلاغة اللغة العربية في فن الشعر من تعليمه . وما لقنته له أسرته من علوم في المجال تلقاها عن طلريق التعليم .وإكتسبها بالوراثة من أجداده . وكذلك ساعده أستاذه نخلة زريق في التفوق لغويا ،وليس في العربية فقط ، بل إنه كان قد تعلم الألمانية والتركية والإسبانية . ومكنه هذا من العمل في إذاعة القدس حيث عين مديراً للبرامج العربية . وفي بيروت أين تعلم في الجامعة الأمريكية .إلتقى مع أدباء مفكرين مثل وجيه البارودي وحافظ جميل، وعمر فروخ والشاعر الكبير بشارة الخوري المعروف بالأخطل الصغير .

كما يظهر من خلال نصوصه أنه دائم الإطلاع والقراءة . ولا يمكن أن يتمكن من كتابة ما كتبه ،إذا لم يكن ينفق على الأقل خمسة ساعات في اليوم للمطالعة ،خارج نطاق الروتين اليومي العادي للدراسة . ولهذا وجد الوقت لتعلم القرأن الكريم ، الذي تعهده منذ صغرسنه . ونهل من بيانه وبلاغته. أما باقي بلاغته اللغوية فقد إكتسبها من المطالعة في كتب اللغة والأدب العربي ،بهدف التعمق في الفكر والثقافة من منابعها الأصلية .

في قصيدته " يا حسرتا " وكتبها في 22مارس 1935 يقول طوقان :

يا حسرتا ماذا دهى أهل الحمى

فالعيش ذ ل ، والمصير بوار

أرأيت أي كرامة كانت لهم

واليوم كيف إلى الإهانة صاروا

سهل الهوان على النفوس فلم يعد

للجرح من ألم وحق وعار

همدت عزائمهم فلو شبت لظى

لتثيرها فيهم فليس تثار

الظالم الباغي يسوس أمورهم

واللص والجاسوس والسمسار .

لم أختر يا حسرتا لآنها أجمل ما قاله طوقان . فهوطبعاً يملك اللغة العربية إذا شئنا الإختيار . ولكن لآني أرى ضرورة للتحسر على ما ألت إليه العربية، كلغة باتت في أشد الحاجة إلى طوقان . وحَدِثْ ولا حَرج إذا أخبرتْ عن حَاجتها لكل شعرائها .

وبلغتي الخاصة أود أن أن أرحب بطوقان على صفحات بحثي ، وهذه تحيتي له نظماً خاصاً من لغتي :

نظماً خاصاً من لُــغتي ففي الأحْضان وفي مَحبتي

إبراهيم أسعدت وحدتي أشعرتَ الزمان بمســـرتي

فحـــق النعيم كان لغة ولـــولا البصائرفأين لقمتي

ولا أريد أن أنقد أبياتي التي أهديها للشاعر الراحل . والذي لم تستمر حياته إلا 35 سنة . ومع أنها كانت حَياة قصيرة تمكن من خلالها من إبتكار ما يَقوله للظالم :

يا من تعلل بالسياسة ظنها

لطفت – ولأن –عصيها

الجبار --؟

ما ألطفها ؟ ما اللين ذاك فكلهم مستعمرون –وكله إستعمار

إنه فعلا مغوار ، وأنكم معشر القراء على ما أحسن من الظن تسمونه السحار. الذي يملك عصى الشعر . وبها قد قال:

أنتم (المخلصون !) للوطنية

أنتم الحاملون عبأ القضية !

أنتم العاملون من غير قول !

بارك الله في الزنود الثوية!

" وبيان " منكم يعادل جيشاً

بمعدات زحفه الحربية

وإجتماع منكم يرد علينا

غابر المجد من فتوح أمية

وليت الأمية تفتح وتغلق . كي نستطيع الحياة في ظل وجود اللاخطر واللاخوف واللاخجل . من النفس التي وصفها الراحل في أبياته الخالدة. ومنها أيضاً هذا الشعر:

مصيرك بات يلمسه الأدنى

وسار حديثه بين الأقاصي

فلا رحب القصور غدا بباق

لساكنها ولا ضيق الخصاص

لنا خصمان : ذو حول وطول

وآخر ذو إحتيال وإقتناص

تواصوا بينهم فأتى وبالا

وإذلالا لنا ذاك التواصي

مناهج للإبادة واضحات

وبالحسنى تنفذ والرصاص

وختاما نشير إلى أنه هو كاتب النشيد الوطني الفلسطيني . نشيد موطني الذي كلنا نحفظه منذ نعومة أظافرنا . لآنه إنتشر في أرجاء الوطن العربي جمعاء . وهو النشيد غير الرسمي للشعب الفلسطيني منذ ألفه طوقان . وفي أعقاب الغزو الأمريكي للعراق ،أتخذ نشيداً وطنياً للعراق.

وجُمعتْ قصائده رحِمه الله في كتاب واحد ،إسمه الأعمال الكاملة للشاعر إبراهيم طوقان .

أما معلوماتي حوله فقد جمعتها من " الدكتور محمد جواد النوري وبمساهمة ل. جلبشه ومحمد بدارنة. من إعلام الفكر والادب في التراث العربي (الطبعة مجلة الحياة). حيفا."

***

-24- محمد مهدي الجواهري وبلاغة وإسم جده

هو :الذي صال وجال وفعل وقال : حتى ربما أحبه الله فرزقه العمر الطويل . محمد مهدي الجواهري ولد في 26 يوليو 1899 م ، وتوفي في 27 يوليو 1997 م .

ولد في النجف عام 1899م، من أسرة ذات صُمعة ومقام في النجف . وكان قرة عين عبد الحسين والده .، وهو من علماء النجف . ويُحْسب نجاح الإبن لفطنة الوالد .الذي إنتبه إلى حنكة الصبي عبد الوهاب. وسرعة بديهته وحفظه . فعمد إلى إظهاره عالماً من علماء النجف يلبس عمامتهم ،ويعيش في جلبابهم من البداية التي كانت سن العاشرة . وقد كانت أسرتهم محافظة عريقة في العلم والأدب والشعر تعرف بآل الجواهر . وجده هو الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر . وهو صاحب كتاب في الفقه إسمه «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام»

وهكذا بدأ لقب أسرة الجواهري أي بسبب الكتاب . وكان لهذه الأسرة في النجف مجلس عامر بالأدب والأدباء يرتاده

كبار الشخصيات الأدبية والعلمية. وحرص عبد الحسين على أرسال جوهرته إلى المدرسة . ليدرس من أساتذة كبار يعلمونه أصول النحو والصرف والبلاغة والفقه.

وفعلاً كان الجواهري قد عاش كما خطط الأب . ومن بين ما قام به في حياته . العمل في قصر الملك فيصل عندما أصبح ملكا على العراق . وشارك في تأسيس الحزب الوطني . وأسس جريدة الإنقلاب التي سماها لاحقا بإسم الرأي العام . وشارك في مؤتمر السلام العالمي في بولندا وكان العربي الوحيد الذي حضر الإجتماع . وتعرض رحمه الله لسحب الجنسية العراقية منه لآنه شارك في مهرجان الجنادرية في السعودية سنة 1994 . ثم دفن في دمش بعدما أكمل عمره منفيا في سوريا.

خلاصة الكلام ومن خلال سيرته الذاتية ، هو أيضا شاعر كبير والدليل كونه تقاسم عوامل مشتركة مع عظماء الشعر كأمرؤالقيس والشنفرة والمهلهل وغيرهم من القدماء . وإلى جانبهم الجدد ، كالبارودي ،وعمر أبو ريشة ،ونزار قباني، الذين كانوا مثله رجال دولة كبار.

عينية الجواهري..

قصيدة عينية الجواهري تعتبر الأثر الشاهد على أن أجداده العلماء قد أورثوه علما نافعا . لأنهم سلالة يمكن التنوير بها والإستفادة من عِلمها . وربما هذا سبب أقنع النقاد فقالوا أنها قصيدة (من عيون الشعر العربي الحديث ومن أهم القصائد التي قيلت في الحسين ومن أجمل القصائد العمودية [1].).

ويشير نفس الموقع إلى أنها (كتبت بماء الذهب في مرقد الإمام الحسين بن علي[1])

-1- -2- حسب موقع ويكيبديا الموسوعة الإلكترونية

مطلعها :

فِداءٌ لَمثواكَ مِن مَضْجَعِ تَنَوَّرَ بالإبـــــلَجِ الأروَعِ

بأعبقَ من نَفحاتِ الجنان رَوحًا، ومن مِسكِها أضوع

وفي القصيدة أبيات كثيرة بنتها سلالة الجواهري الشريفة ومنها :

كأنَّ يدًا من وراءِ الضريحِ حمراءَ مَبثُورَةَ الإصْبَع

تَمُدُّ إلى عالمٍ بالخـــُنوعِ والضيمِ ذي شَرَقٍ مُتْرَع

تَخبَّطَ في غابةٍ أطـــبَقَت على مُذئبٍ منه أو مُسْبِع

ولآنه لم يترك الكثير من المناسبات خارج شعره وخارج إهتمامات نفسه المتعلمة . التي لم تتأثر بالمدارس الغربية أو الشيوعية الشرقية . وكان سلاحه العلم في الكثير من المناسبات السياسية والتجارب الشخصية .

ويبدو من قصيدته التي كتبها بمناسبة وفاة الشاعر أحمد شوقي أنه يحب الشعراء مع الشعر:

طوى الموتُ ربَّ القوافي الغُرَرْ

وأصبحَ " شوقي " رهينَ الحُفَرْ

وأُلقِيَ ذاكَ التُّـــــــراثُ العظيمُ

لِثـــــقلِ التّراب وضغطِ الحَجر

وجـــــئنا نُعزّي به الحاضرين

كأنْ لم يكنْ أمسِ في من حضر

ونستطيع في الخلاصة الإشارة إلى أن الجواهري الحديث حمل مشعل الجواهري القديم . وقد قاده إنتباه والده إلى مجالس علم كانت لجده ، فأصاب عبد الوهاب بن محسن في البداية ، ثم أخفق ولم يُكمل مسيرته العلمية الدينية . وبالتالي لم يَنشأ إلا شاعراً وسياسياً مُحنكاً .

-25- الشاعرة فدوى طوقان تمزج الشعر ببلاغة المرأة

فدوى طوقان من مواليد مدينة نابلس .أين تلقت تعليمها الذي مُنعت عنه بعد المرحلة الإبتدائية . لآن عائلتها لا تقبل للمرأة المشاركة في الحياة العامة . وتابعت فدوى الدراسة بتثقيف نفسها بنفسها . وأيضاً على يد أخيها شاعر فلسطين الكبير إبراهيم طوقان .

ثارت المرأة فدوى من بداية طفولتها إلى بداية شبابها . وأسمعت العالم ببلاغة النساء وأرسلت له ريع مواهبها بعدما نماها لها شقيقها إبراهيم .وإستقبل العالم الرسائل وهي شعرها المنشور في العديد من الصحف العربية. وأطلق عليها الشقيق إسم "أم تمّام" ثم إسم أخر من محمود درويش عندما سماها "أم الشعر الفلسطيني"

وهي كما لقبت نفسها "دنانير" ويعود الإسم إلى إحدى الجواري . وكذلك عشقت إسمها الأحب إليها وهو

"المطوّقة". التي كانت زهرة في بساتين فلسطين فقطفوها وكأنها في بساتين الأمية والجهل . وكذلك إشتقت لنفسها هذا الإسم من لقب عائلتها "طوقان"

قالت الشعر الذي يلزم عائلتها ، وعائلتها فقدت إبراهيم طوقان حديث الشباب سنة 1936 م . وفقدت شقيقه أيضاً وأبوه . وكذلك قالت الشعر منتفظة تبكي بعدما أخذ الله الأهل وأخذ العدو الوطن عقب إحتلال فلسطين إبان نكبة 1948م . وعبرت ببلاغة السيدات على ما حدث . وإكترث الشعب لما قالته شاعرة أسمعها شقيقها بلاغة سقتها له اللغة العربية ، فخاطب بها فلسطين حتى مات ، وقد مات كالعادة شهيداً .

وأجزلت الشاعرة في ديوانها ،وحدي مع الأيام . ولم تتوقف ثورة السيدة فدوى طوقان . حتى بلوغها المشاركة في الحياة السياسية في الخمسينيات من قرن النكبة.

رحيلها كان مساءً ، من يوم كان السبت ، في تاريخ الثاني عشر من شهر ديسمبر عام 2003م . الوداع يا سيدتهن فدوى طوقان . الدنيا فارقتك عن عمر ناهزتي فيه السادسة والثمانين عامًا . وأين قضيتها ، طبعا أجابتك هي :مناضلة بكلماتها وأشعارها في سبيل حرية فلسطين .

الأن أهلاً بك في صفحات هذا البحث . ولا تؤاخذينا إذا بدأنا قراءة بعض من شعركِ من فوق قبرك :

كفاني أموت عليها وأدفن فيها

وتحت ثراها أذوب وأفنى

وأبعث عشبًا على أرضها

وأبعث زهرة إليها

تعبث بها كف طفل نمته بلادي

كفاني أظل بحضن بلادي

ترابًا، وعشبًا، وزهرة. ...

هذه كلماتها رحمها الله ، وكُتبْ على قبرها ، وهي جزء من قصيدة مشهورة خطتها طوقان ، ولم ترحل إلا عندما أكملتها ، أما شقيقها فأكمل ديوانه ورحل .

وتقدم النقاد إلى دواوينها وكلماتها في حياتها وبعد رحيلها بطلب فهم وإلتماس هدوء . فربما تسكت ثورتها سيما بعدما نالت حقها وتعلمت منزلياً . ووصفوها بكونها الأكثر إندفاعا في البوح والإعتراف. ويكاد لا يجاريها في هذا المضمار إلا الأديبة السورية غادة السمان . وربما كان الأمر سهلا على النقاد عندما قرأوا لها بقلمها (سيرة حياتها جزءين: «رحلة جبلية رحلة صعبة» و«الرحلة الأصعب»[1-])

ثم بعدما قرأوا شهدوا بأن في ذكرياتها وأسرار كتاب حياتها ما لا يوجد إلا في أجمل كتب البوح والإعتراف . وهذا طبعا حَسبما قرأوه خلال عشرين سنة . وأعطوا لسيرتها الذاتية

علامة الثالثة بعد «الخبز الحافي» لمحمد شكري و«خارج المكان» لإدوارد سعيد.)

وفيما كتبه الناقد المصري الراحل . وهو مخطوط من السبعينيات للقرن الماضي . قال أن لفدوى طوقان علاقة غرامية بالناقد المصري أنور المعداوي، الذي كان يراسله بالرسائل ولم يلتقي بها . وأشار إلى أن هذا يشبه ما حدث بين الأديبة مي زيادة ،والشاعر جبران خليل جبران.

-1- دار الشروق، عمان، 1985 و1993 على التوالي

عمداً ربما كانت طوقان قد تحدت الذكوريين في نابلس . وكذلك بنفس العمد ساعدها النقاش على إختيار رسالة فيها عشيق يختبأ عن أهلها، من بين الرسائل التي كانت قبيلتها تفتشها .

وقد هتفت الشاعرة في قصيدة لن أبكي وهكذا هتفتْ:

وتهتف بالحصان الحرّ

عدوا يا – حصان الشعبْ

فأنت الرمز والبيرق

ونحن وراءك الفيلق

ولن يرتدَّ فينا المدُّ والغليانُ –

والغضبُ ولن ينداح في الميدان

ونددت الفنانة الكبيرة بهم ؟ وأفرغت فيهم ذخيرة من شِعر ، فيها أجالهم وفيها كلماتها :

لا مزقة صوف تدفع عني الرجفة

هذا الليلْ

وحدي في فلوات الليلْ

مرتعدٌ قلبي بالخوفْ

أبدًا مرتعدٌ بالخوفْ

أبدًا تحت تحكُّمِ جسرٍ ينكسرْ

أو رحمة سقف ينهارْ

أبدًا أرضي تهتزُّ، تميدُ،

تدور بلا محورْ

من ينقذني من هذا الخوفْ

من ينقذني من هذا الخوفْ؟

وعلى سبيل المثال يُمكننا القول بأنها أنقذت نفسها ونجحت وخرجت من ما ألت إليه حياتها ، إلى معارك أخرى هي فعلاً كبيرة وكثيرة . فالنكبة تعاني منها أمة بأكملها ،وأمة بأكملها تغني وتنشد لنفسها منقضاً يعيد الأراضي المحتلة إلى الشعب العربي.

وأنا أبحث عن ما أختم به كلامي عنها ، والذي أردت أن أوضح به ما علاقتها ببلاغة المرأة . بعيداً عن بلاغة المرأة المتعلمة . لآنها متوسطة التعليم أو ربما بسيطة التعليم . وإستطاعت أن تكتب القصائد التي من بينها حتى قصيدة وجدتها . فوجدتها وأنا أبحث عن خاتمة لكلامي وهذا مطلعها:

أنظر أيضاً ليانة بدر:فدوى طوقان ظلال الكلمات المحكية. دار الفتى العربي،القاهرة.الطبعة الاولى.1996.

وجدتها..

وجدتها في يوم صحو جميلْ

وجدتها بعد ضياع طويلْ

جديدة التربة مخضوضرهْ

نديانة مزهرهْ

وجدتها والشمس عبر النخيلْ

تنثر في الحدائق المعشبهْ

باقاتها المذهّبهْ

وكان نيسان السخيّ المريع

والحب والدفء وشمس الربيع

-26- ما أروعكَ يا أبو العتاهية..

لا ترى بأعين خَلْقِ الله إلا ما يُريدون هُم إيصاله لك . وفي حالة العَكس تبقى تراودك الشُكوك ، وتطرح نفسك عَنك الأسئلة . ولكل مِن الناس طريقته في الإبلاغ ، وعلى سبيل المثال ، أنا كشاعر أختار إبتكار هذا الشعر لآحدثكم عن أبو العتاهية .. فقلتُ:

أأفصح صَاحُ أو لم يُفصح ؟... أهذا سَليم قلبهُ أو ذا الأقبحُ ؟

أما الليل الصريمُ فقد أصبحَ ... ولم يَترك للكذاب ما يَقدحُ

وإني وبلغة صريحة وراء أبو العتاهية ، ولي سؤال له علاقة بالبلاغة . وأريد أن أفهم من شعره ،لآنه رحل وأبياته كفيلة بالرد عني . هل كان كلامه الذي ورثه جيلنا عن أجيال سبقتنا . معناه أنه لا يريد الرجولة والكهولة والشيخوخة . ويتوق إلى شباب لا شأن له غير اللهو واللعب . ويظهر هذا في قوله رحمه الله :

نَصَبتِ لَـــنا دونَ التَفَكُّرِ يا دُنيا أَمانِيَّ يَفنى العُمرُ مِن قَبلِ أَن تَفنى

لِكُلِّ إمرِئٍ فيما قَضى اللهُ خُطَّةٌ مِنَ الأَمرِ فيها يَستَوي العَبدُ وَالمَولى

وَإِنَّ إمرَأً يَسعى لِغَيرِ نِهـــايَةٍ لَمُنغَمِسٌ في لُجَّةِ الفـــاقَةِ الكُبرى

بكيْتُ على الشّبابِ بدمعِ عيـني فلــم يُغنِ البُكـــــاءُ ولا النّحيبُ

فَيا أسَفاً أسِـفْتُ علــى شَبَــابٍ نَـــــعاهُ الشّيبُ والرّأسُ الخَضِيبُ

عريتُ منَ الشّبابِ وكنتُ غضاً كمَـــــا يَعرَى منَ الوَرَقِ القَضيب

فيَا لَـــيتَ الشّبــابَ يَعُودُ يَوْماً فـأُخـــــــبرَهُ بمـا فَعَلَ المَشيـبُ

ويبقى علينا أن لا نكون أغبياء ، فهو رجل يحب شبابه وقد رزقه الله إسم منه مشتق من مجونه . فأبو العتاهية ليس إسمه الرسمي . وهي كنية ،وغلبت إسمه لما عَرفه شبابه من المجون . وتظهر لغة الإستغراب التي إستغربنا بها في طريقة وصفه لمسعاه النهائي ، تظهر جلية في شعره . وبلغنا عن المؤرخين ومن خلال تتبعنا لشعره . بلغنا أنه كف عن حياة اللهو والمجون . ومال إلى التنسك والزهد . بل إنه أيضاً إنصرف عن ملذات الدنيا والحياة . وكذلك (شغل بخواطر الموت ودعا الناس إلى التزوّد من دار الفناء

إلى دار البقاء وكان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك الخليفة العباسي هارون الرشيد، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل إن لم يقل الشعر، فعاد إلى نظمه.) حسب موسوعة ويكبديا الإلكترونية. التي إعتمدت على المصادر المؤرشفة في الأسفل .

وفيما يلي بعض من زهده الذي تلمس فيه أن الشاعر أبلغ ولو إستمعت إلى نفس المواعض من خطيب ليس شاعراً أوتنقصه الدقة اللغوية والفصاحة الشاعرية . لما إستوعبت بنفس الصورة الجمالية التي تركها أبو العتاهية في عقول من ترك فيهم النبي ﷺ الزهد فسأموه . وهو شخصياً كان من بينهم . وأصلحْت أبياته توبته ، فإنتصح برأس ريشتهِ التي خطت ما يلي :

لا يأمن الدهر إلا الخـــــائن البطر من ليس يعقل ما يأتي وما يذر
ما يجهل الرشد من خاف الإله ومن أمسى وهمته في دينه الفـــكر
فيما مضى فكرة فيـــــها لصاحبها إن كان ذا بصر بالتترأي معتبر

نوري حمودي القيسي ، شعراء إسلاميون ج1 ص32

الأغاني 1-15 مع الملحق والفهارس ج2

كتاب الموجز في الشعر العربي - الشاعر العراقي المعروف فالح الحجية)

أين القرون وأين المبتـــنون بها هذي المدائن فيها الماء والشجر

وأين كسرى انوشروان مـــال به صرف الزمان وأفنى ملكه الغير

بل أين أهل التقى بعد النبـي ومن جاءت بفضلهم الآيات والســور

ولو نظرنا في كتاب السجلماسي . الذي طرح فيه أسئلة وأجوبة حول حصر أساليب التعبير حسب مخارج الحروف. ووقع الحروف على الأسماع بعد النطق بها . ويظهر هذا في قوله(التصنيف والترتيب بناء على المنطق على جهة الجنس والنوع وتمهيد الأصل من ذلك للفرع وتحرير تلك القوانين الكلية وتجريدها من المواد الجزئية-1- لخلصنا إلى أن نوع كلمات أبو العتاهية ساعد في خلق ووجود ناقد أديب كالسجلماسي . الذي أضاف إلى محاولات فهم الأدب القديم بياناً نقدياً يظهر جوهره بوضوح القديم من الأدب ، أي بالبلاغة أو لا يُستوعب .

وكذلك ولد للنقد العربي في مجال الشعر الناقد إبن البناء الذي تحدث حول سبب وضعه لكتابه –الروض ــ بقوله « (فغرضي أن أقرب في هذا الكتاب من أصول صناعة البديع) .

أنظر المصادر نفسها

نوري حمودي القيسي ، شعراء إسلاميون ج1 ص32

الأغاني 1-15 مع الملحق والفهارس ج2

كتاب الموجز في الشعر العربي - الشاعر العراقي المعروف فالح الحجية)

ومعنى كلامه هو أن ثبات البيان كبنيان سليم الأركان . يُعرف في إسمى حالاته بإسم الروض .

والتي غالباً ما تكون حلق الذكر الكريم ،وفق قول الرسول محمد *ص* لآصحابه " إذا مررتم برياض الجنة فإرتعوا ،وقالوا وما رياض الجنة يا رسول الله ، فقال هي حلق الذكر " وهي كانت للعرب وما زالت أوسع الكتب . وعندما تقرأ بعض من شعر الزهد لآبو العتاهية ، تعترف أنه قد مر برياض الجنة .

فقوله :

الناس في هذه الدنيا على سفر وعن قريب بهم ما ينقضي السفر

يعني أنه من المنصوحين في تلك الرياض ، التي أشعرته بضرورة الإختيار بين الجوار والجوار . فقرب الله أفضل أو ذكريات شبابه التي حمل إسمها . وأصبح أبو العتاهية إسمه الحقيقي : إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي أبو إسحاق.

وإنك لتلحظ في كلامه أنه حتى من سكن حلق الذكر له موتة للشاعر ما يقول فيها:

لم يبق أهل التقى فيها لبرهم ولا الجبابرة الأملاك ما عمروا

ـ السجلماسي، أبو محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة: 1401 هـ الموافق 1980 م ص:180

المراكشي العددي، ابن البناء، الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بنشقرون

-26- أبو العلاء المعري

وجد أبو العلاء المعري في بعض ما يقوم به الخلفاء ، في مصر وبغداد وحلب. إستغلالاً للدين من أجل إحكام سيطرتهم وقبضتهم على الحُكم من كل جوانبهِ .(وخلال حياة المعري ظهر الكثير من الخلفاء في مصر وبغداد وحلب الذين كانوا يستغلون الدين كأداة لتبرير وتدعيم سلطتهم -1-) وكانت أقلام النقاد قد رصدت تشائم كبير في شعر المعري فقال فيليب خوري (هناك رأي يقول بأن المعري من المشككين في معتقداته، وندد بالخرافات في الأديان. وبالتالي فقد وصف بأنه مفكر متشائم-2-) . ويبدأ هذا الإستنتاج الموثق بكلمات المعري نفسه. يبدأ إعادة طرح أسئلة كثيرة حَول لغة بلاغتها صالحة لإصلاح الأمور في جميع العُصور . فهي لغة الجهل الذي يَدين بالكفر ، ولغة العلم الذي نوره القرآن .

ويقول رينولد ألين نيكولسون عن المَعري (وقد يكون أفضل وصف له هو كونه يؤمن بالربوبية. حيث كان يؤمن بأن الدين "خرافة إبتدعها القدماء-3-)

-1- لمياء بن يوسف زيزفون ، إنتاج المرأة المسلمة ، صفحة 141. كتب ليكسينغتون

-2-بقلم فيليب خوري هيتي إسلام ، طريقة حياة ص. 147

-3- رينولد ألين نيكولسون ، 1962 ، تاريخ أدبي للعرب ، صفحة 318.

ويرى المعري أن إسلامنا الجميل خرافة إختلقها القدماء . وربما كان لا يقصد الإسلام ويقصد الدين بصفة عامة ، على أساس أنه كان صناعة القدماء. ولم يدبره الله كخطة حياة يعيش بها الإنسان . وكان الله فيما بعد قد ظبط شرع الإنسان بشرعه ،وأصبح الدين لله.

ولآنه رحِمه الله كان قد عرى الدين الإسلامي . لم يجد من حراسهِ وحد بلاغتهم إلا ألذع إنتقاد . نقتبس منه أبرز ما ورد في كتبنا حديثها وقديمها، عن العلماء المسلمين المشاركين في ذم المعري . ومنهم من قال أنه زنديقاً. وهذا رأي إبن كثير. وكذلك لم يسكت عنه إبن قيم الجوزية وأبو الفرج بن الجوزي الذي قال فيه:

«زَنَادقَةُ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةٌ : ابْنُ الرَّاوَنْدِي ، وَأَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيْدِيُّ ، وَأَبُو العَلاَءِ المَعَرِيُّ ، وَأَشدُّهُم عَلَى الإِسْلاَم أَبُو حَيَّانَ ، لأَنَّهُمَا صَرَّحَا ، وَهُوَ مَجْمَجَ وَلَمْ يُصرِّح.

ويروى عن حلفائه وأنصاره أيضا في كتبنا ما أبقاه شاعراً للعرب وفيهم . ومُفلسفاً من عُميانهم الأقوياء . وفي حادثة مرضه التي رحل بعدها إلى جوار ربه ، وكما يؤرخ الدكتور طه حسين (كانت عِلته ثلاثة أيام، ومات في أوائل شهر ربيع الأول من سنة تسع وأربعين وأربعمائة وعاش ستا وثمانين سنة-1-) ولم تكن سنوات عمره بدون نتائج ترضي شعره المقروء بعد موته . وتسعد طلبته وتلاميذه الذين بكوا عندما قبروه وأمطروه دموعاً من شعرٍ .

وورد في روايات ياقوت والقفطي والذهبي والصفدي وابن خلكان . ما وصل إلى صدق نبأ تأبين أبي العلاء وقالوا لما مات أنشد رثاءه على قبره شعراء، لا يقل عددهم عن سبعين شاعراً، منهم تلميذه أبو الحسن علي بن هَمَام ، الذي قال فيه قصيدة -2-) هذا مطلعها:

إن كنتَ لم تُرق الدِماء زهادة

فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه

مسك فسامعة يضمخ أو فما

وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة

ذكراك أخرج فدية من أحرما

-1- تجديد ذكرى أبي العلاء, طه حسين, ص 157

-2- نفس المصدر

وتعرى المعري أمام مشرعي عصره من الخلق . وكاشفه بما يبطنه غيره أو بما لا يستطيع أن يبطنه من شدة الإيمان والتقوى . وقد أثار جدلاً كبيراً بمخطوطه "فقرات وفترات" أو "فصول وغايات". عندما نسجه يحاكي لغة وأسلوب القرآن . سعيا منه لإثبات أن الثبات لا ينبغي أن يكون بسبب حلاوة كلمات ، قد قال هو مثلها . وقوله تمثل في مجموعة من المواعظ . وأشار بعض العلماء إلى ما فعل المعري . ونصروا القرآن على مخطوطه . مشيدين بصمود القرآن مئات السنين في قلوب الذين أمنوا . وهم بالطبع لا يتبعون القول الفارغ ، لآن القرآن يروي ببلاغة ما فعله وما سيفعله وما قد يَفعله الله . وهذه الفِعَال تُخيف وترغب الأنفس . وتؤكد أنه قد أهلك من هَلك ونـُصر من أنزل عليه وحياً يُوحى .

وبما أن المعري فقد بصرهُ في سن الرابعة . ولم يفقد حياته ولم تفقد حَياته إتجاهها . فقد إلتزم بما سار وسيره الله إليه . وطلب العلم مكفوفاً طوال ستة وثمانون سنة . يُمكنني أن أقول أن الله أرسله في مهمة ما لم يفهمها أهل عصره . وبالتالي لم تتضح الصورة كاملة لآهل عصرنا . وإذا كانت خلاصة فكره قد تحولتْ إلى شبه كفر أغضب عُلماء الدين منه . فلا بد أن تقرأ له وتغفر له . فربما يُمكننا في زماننا تدارك ما فاته وقومه وأهل عصره القيام به .

ومن بين كتبه الكثيرة جداً كتابه " رسالة الغفران" التي تدل (على دلائل عدة تتصل بعلم أبي العلاء المعري وسعة معرفته وثقافته في نواحي عدة منها: تبين الرسالة سعة اطلاع أبو العلاء على المفردات اللغوية، ومعرفته للمستعمل منها، والمهل، والشاذ، والنادر، والفصيح، مع إلمامه بمقاييسها وقواعدها وجوه إعرابها. تظهر الرسالة قدرته على تأليف الكلمات واستعماله لها بطريقة تعددية. تدلل الرسالة على كثرة اطلاع أبي العلاء على القراءات المتواترة، وعلى أقوال المفسرين وتفاسيرهم بعض الوجوه والأحكام. تبين الرسالة شدة تمكن أبو العلاء من علمي العروض والقوافي، وكثير من مسائل البيان. سعة اطلاعه على علم التاريخ ومعرفة الحوادث والرجال مما له صلة بالتاريخ الإسلامي وغيره.-1-)

وفي ما يلي بعض من شعره رحمه الله :

غَيْرُ مُـجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي نَـوْحُ بـاكٍ ولا تَـرَنّمُ شـادِ

وبصراحة لو كان شاعر أخر لم يجاهر مجتمعه بشكه في الإسلام وكلمات القران .لإحتسبنا له قوله بلاغة شاعر عَرَّكَه الدهر، فعلمه فتتلمذنا على يديه . ولكن ماذا عسانا نفعل ، وهو على غير ملتنا وإعتقاداتنا التي فيها له نصيبه

من الوسطية . فتركها وذهب إلى سياط التشدد عن غير قصد بقوله:

وشَبِيهٌ صـَوْتُ الـنّعيّ إذا قِيسَ بِـصَوْتِ الـبَشـــــيرِ في كلّ نـادِ
أَبَكَتْ تِـلْكُمُ الـــــــحَمَامَةُ أمْ غَنَّـــت عَـلى فَـرْعِ غُصْنِها المَيّادِ
وصَـاحِ هَـذِي قُبُورُنا تَمْلأ الرُّحْبَ فـــــــأينَ الـقُبُورُ مِنْ عَهدِ عادِ
خَـــــقّفِ الـوَطْء ما أظُنّ أدِيمَ الأرْضِ إلاّ مِـنْ هَـذِهِ الأجْسـادِ

-1- الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره، (ج2)، محمد سليم الجندي، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1382هـ/1962م، ص744-745

-28- لصالح من يَحكم سلطان الشعر ..؟؟

أولاً أنا "وأعوذ بالله من كلمة أنا " أنا أريد أن أشرح ميزات الإنسان الذي يفهم معنى الإستعاذة من هذه الأنا . التي إذا لم تطردها عن نفسك ستكلفك الكثير من الجنون المنسوب كما نعرف إلى العظمة . والإنسان العظيم في عصرنا الحديث هو من يُطبق قول رسولنا الكريم *ص* ويُمسك نفسه عند الغضب فيعظم شأنه سراً ودون إعلام خصومه. ومن الناس من قال أن كلمة أنا لا تؤذي لآن النبي إستخدمها . قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا-1-) وفي رواية أخرى (أَنَا أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِ اللهِ -2-) . وعلى هاؤلائي الناس أن يعلموا أن النبي "ص" له الحق في ذات مقدسة . وهو أصلاً لا ينطق عن الهوى . ولهذا وجب عليهم الإستغفار.

وربما جاءت هذه الصفة الحميدة *الإستعاذة من الأنا*في غالبية شعراء العصر الحديث . وعاشت العظمة بأسمى معاني جنونها في شخصيات شعراء عصور أخرى، كالجاهليين وأيضاً العباسيين والأمويين .

-1- رواه البخاري20

-2-) رواه أحمد (23682) ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (329) .

كتب شعراء جاهليين قدماء حول رغباتهم في السيطرة على العالم ، أو على الأقل على ما يسيرون إليه من أرض عُلمت حدودها عندهم . ومنهم من لم يتوقف جنونه حَتى حكم في الأرض ،وفيهم من أصبح ملكاً، ومنهم من قتل وقاتل الملوك . وغالبية هاؤلائي كما أشرنا سابقا من تغلب .وكلهم يَصدق فيهم قول إبن القيم الجوزية" " وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ طُغْيَانِ " أَنَا "، " وَلِي "، " وَعِنْدِي "، فَإِنَّ هَذِهِ الأَلْفَاظَ الثَّلاثَةَ ابْتُلِيَ بِهَا إِبْلِيسُ وفرعون، وقارون، (فَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) لإبْلِيسَ، وَ (لِي مُلْكُ مِصْرَ) لفرعون، وَ (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) لقارون. -1-" :

وحسبما أعتقد تسمى الأنا التي سيطرتْ على

عقولهم . وقادتهم إلى القيام بما لا طاقة لهم به

أصلاً ، تُسمى "الذات المقدسة" . ولهذه الذات صفات يستطيع الإنسان إكتشافها إذا تحدث بمنطق يشبه منطقها أو يُعبر عن مبتغاها في الأرض . ومن الإنسان من يبتعد عنها ، وعن الشقاء بسببها . مُستعيذا بالله منها فينجو منها ويتركها للجاهليين الجهلاء الذين لا يملكون دينا يفقهم في طريقة الخلاص منها . كالذين شملهم قول إبن القيم .

-1- "زاد المعاد" (2/ 434-435) ، وينظر : "معجم المناهي اللفظية" للشيخ بكر أبو زيد ، رحمه الله (150)

-29- تعمد إنتحال شخصية الذات المقدسة..

ولكن في نفس الوقت منهم من يَعرفها ولا يرغب في الخلاص منها . وتجده أحرص الناس على لمس حس الذات المقدسة في شخصيته . ليستمر شُجَاعاً كما تطلب حَربها. ومُقدسا كما يَرجو غدها ويُؤكد أمسها . ومنتصراً من أجل بلوغ الغاية ، والغاية هي الخلود في الأرض ، في غير موت . وهذا طبعاً ما يَتحقق بالنسبة للذات المقدسة .التي أتقنت وأبدعت وكتبت كلماتها بماء الذهب . وعَلقتها على أقدس جدران في التواريخ . وهي ذات لا تَكْتب فقط ، بل تكتب وتفعل . وهي ليست أمامة على الشعراء دون غيرهم من السادة الذين صنعتهم في الغالب من البساطة . ومن بينهم في عصرنا الحديث الكثير من الزعماء أبناء

البسطاء، كالزعيم الليبي الراحل معمر القذافي ، والرئيس المصري الراحل محمد حسني مبارك ، والرئيس الروسي فلادمير بوتن ، والرئيس الأمريكي باراك أبوما . وغيرهم من الرجال والنساء الذين ماتوا بذات مقدسة ، أو على الأقل بأسماء كبيرة.

وبعودة إلى عنوان هذا الجزء من بحثنا وهو السؤال المطروح " لصالح من يَحكم سلطان الشعر " نبدأ الإجابة ونشير مرة أخرى ، إلى أن الشعر يَحْكم لصالح الذات المقدسة . وهناك من شعراء العصر الحديث من بَلَغَ بالشعر

والأدب ،ما بَلغه شُعراء العصر الجاهلي مِن المَكانة الأدبية. وكذلك المراتب القيادية في الدول العربية . وهذا يعني أن الأنا المقدسة . التي قد يَكون مصدرها الله أو الشمس أو القمر أو البحر أو غير ذلك . من ما نعتقد جادين في كونهم مصدر العَظمة . التي يَكتب بها الشاعر أحلام سلطانه . ثم يُصبح فعلاً قائداً في بلده كالبارودي ، أو عمر أبو ريشة ،أو نزار قباني . وفي المقابل تبقى الأنا "الذات المقدسة" غير موجدة في نفوس بعض الشعراء في العصر الحديث . ومن بينهم الشاعرة نازك الملائكة . وهي عِندما تستخدمها تستخدمها بأسلوب مُباح ، وهو عِند بن القيم الجوزية (وَأَحْسَنُ مَا وُضِعَتْ " أَنَا " فِي قَوْلِ الْعَبْدِ: أَنَا الْعَبْدُ الْمُذْنِبُ الْمُخْطِئُ، الْمُسْتَغْفِرُ، الْمُعْتَرِفُ . وَنَحْوِهِ : " لِي "، فِي قَوْلِهِ: لِيَ الذَّنْبُ ، وَلِيَ الْجُرْمُ ، وَلِيَ الْمَسْكَنَةُ، وَلِيَ الْفَقْرُ ، وَالذُّلُّ و"عِنْدِي " ، فِي قَوْلِهِ: " اغْفِرْ لِي جِدِّي ، وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي-1- ").

-1- "زاد المعاد" (2/ 434-435) ، وينظر : "معجم المناهي اللفظية" للشيخ بكر أبو زيد ، رحمه الله (150)

-30- نازك الملائكة أتقنت إسكات الذات المقدسة لحساب الشعب المقدس.

وعلى منوال فريد من التواضع كَتبت رَحمها المُتكبر قصيدة الكوليرا . وهي من أشهر قصائد الشعر الحرّ التي خطتها أقلام عصرنا ومنها قلم نازك . التي عبرت برموز مخاطبة العقل القاريء . وكانت المناسبة التي يقرأ حولها الجمهور، مأساة الشعب المَصري الذي هاجمه الوباء:

سكَن الليلُ

أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ

في عُمْق الظلمةِ تحتَ الصمتِ على الأمواتْ

صَرخَاتٌ تعلو تضطربُ

حزنٌ يتدفقُ, يلتهبُ يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ

في كل فؤادٍ غليانُ

في الكوخِ الساكنِ أحزانُ

في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ

في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ

هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ الموتُ الموتُ الموتْ

يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ

وعندما تتنفس جيداً مثلما تنفست نازك الملائكة .ستدرك أنها أتقنت إسكات الذات المقدسة لحساب الشعب المقدس . وبعثرت ضميرها السلطوي قسمة بين الناس . متمسكة بحَقهم في الخلاص من الوباء . وكأنها تواضعت وتواضعت وتواضعت ،حتى نطقت مهللة مُكبرة ..لا إله إلا الله . وأكملت قَصيدتها بقلم مَلائكي يَحكم لصالح الشعب.

طَلَع الفجرُ

أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ في صمتِ الفجْر

أصِخْ انظُرْ ركبَ الباكين

عشرةُ أمواتٍ عشرونا

لا تُحْصِ أصِخْ للباكينا

اسمعْ صوتَ الطِّفْل المسكين مَوْتَى, مَوْتَى

ضاعَ العددُ مَوْتَى موتَى

لم يَبْقَ غَدُ في كلِّ مكانٍ

جَسَدٌ ينْدُبُه محزونْ لا لحظَةَ إخلادٍ لا صَمْتْ

هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ الموتُ الموتُ الموتْ

وها هي بلغتها الملائكية تطرد الذات المقدسة بعيداً عن منطقة للموت فيها ما يقول . وكيف يَقول الموت ولا يسمع أولوا الألباب . لهذا سكتتْ وكأنها هي القتيلة . وتحدثت وكأنها من يَجب أن يقول شيء ليعرف المُغسلون والمُكفنون والدفانون . أنها لا تزال على قيد القصيدة

وتمسك بناصية القلم . وتدفع ذات نازك إلى التقدم في السن بدون جُنون العظمة . وهل ترك الطاعون شيء للعظماء ؟

-31- بعض من الشعر يَحكم لصالح الأنة الملعونة ..

الحَمد لله الذي أتم نعمتهه علينا ،ورضى لنا الإسلام دينا . وبعد لقد قرأتُ في كتاب الله عز وجل في صورة الأعراف قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك أن تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين-1-) .

ومن هذا الكلام نستنتج أن الله سبق له تصويرنا . وأن خلقنا قد إكتمل عنده وأصحبنا في حُكم القدر والقضاء . الذي أنبأنا عنه في مُحكم تنزيلهِ . وتشير الأيات إلى حِوار دار بين الله والشيطان اللعين . ورفض إبليس طلب ربه مستخدما كلمة أنا . وقال أنه خير من كل ولد أدم الذين أمره بالإبتعاد عنهم بعد السجود لأبيهم فرفض .

-1-الأعراف / 11 – 12

ولهذا من الممكن جدا أن تكون الأنا التي يستخدمها الإنسان الجاهل المتكبر المتغطرس في غير موضعها . تعود للشيطان الذي يوسوس في صدور الخلق بدون علمهم .والذي رفض الخروج من صورتهم أمام الله يوم أحصاهم وعدهم وأراد تطهيرهم في ظهر أدم أبيهم . حتى أصبح يوسوس في صدورهم بعلمهم وموافقتهم ، أو بعلمهم وبدون قدرتهم على مقاومته . وقد تنتج وسوساته وغاياته الكثير من الأفكار في عقول البشر . ويُصبح مُشيطناً غير قادر على الإتزان النفسي والعقلي . وبالتالي يُجانبه الصواب ،ويَحصد بدل الثمار الأشواك . ومن هذا القبيل تجد الشعراء والغاوين في صف واحد .

وحول هذا النوع من "الذات الملعونة" التي تحدث بها وعنها مع كثير من الناس في كل العصور ومنهم الشعراء . يقول النبي ﷺ (عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرِّ في صُوَر الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى " بولس " تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال"-1-.)

رواه الترمذي (2492) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (2025) .

ولآن الحق سبحانه وتعالى أراد أن تكون رحلة عمر نبيه بعيداً عن الخطأ الذي لا ينبغي له . أبعده نهائياً عن تقمص مثل هذه الأدوار في حياته . و أنزل في مُحكم تنزيله ما نفى به إحسان نبيه ورسوله للشعر : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾

وكان الرسول *ص* قد إستخدم الذات المقدسة بعناية ودراية إلاهية . وهو أكبر أهل الأرض قديما وحديثا من حيث الإعتماد على القول وأحسنه . وقد روي عنه *ص* أنه قال (أنا أول من تنشق عليه الأرض يوم القيامة وبلا فخر ،وأنا أول من أوتي مجامع الكلم وبلا فخر)

ويقول إبن الرومي قول يُناسب من الشعراء الذين في قلوبهم كبر وشر وغل وكفر :

أنت عيني وليس من حق عيني

غمض أجفانها على الأقـــــذاء-1-

-1- الأَقْذَاءُ من النَّاسِ: السِّفْلَةُ. ومن التراب ما يَلتصق بجوانب الأعين.

ونختم هذا الكتاب بشاعر مصري أحدث في الشعر العربي المعاصر.. وطور من مفهوم القصيدة ..

الدكتور/ سيد غيث ..هو: شاعر وناقد وباحث مصري في فنيات الكتابة الأدبية .

دكتوراه ممنوحه في الأدب العربي المقارن عن دراسة في اللغة العربية ومقارنتها بالغات الأخرى السامية المنطوقة . في العام 2017 م

رئيس مجلس ادارة دار (الأديب) للطبع والنشر والتوزيع .

له العديد من الكتب في الأدب العربي ومترجمات في الأدب العالمي .

****

- **من <u>مؤلفاته في الأدب العربي :</u>**

= كتاب: الشرح الكافي في علمي العروض والقوافي (جزئين) .

كتاب: الصياغة في علمي اللغة والبلاغة (ثلاثة أجزاء) . =

كتاب: مدارس الشعر في العصر الحديث=

= كتاب: فقه النقد عبر عصور الشعر

= كتاب: المعلقات العشر باوزانها العروضية

= كتاب: الثقافة العربية بين سندان المثقفين ومطرقة الجواهل (جزئين) .

= كتاب فنيات الكتابة الأدبية

= كتاب: الدراسات العشر

= كتاب: فلسفة شعراء العرب

كتاب: قطوف الذهب من كلام أدب العرب =

= كتاب: الموسوعة الرمضانية (خمسة أجزاء)

= كتاب: مشاهير الشعراء عبر الأزمان .

.

من مؤلفاته في الأدب العالمي:

= كتاب: أشهر خمسة عشر رواية خالدة في التاريخ

= كتاب: أشهر ملاحم الشعر العالمي

.

دواوين الشعر:

ديوان: تجاعيد

ديوان: شبر اغتراب

ديوان: من وصايا الناسكين

وعدة مؤلفات أخرى قيد الطبع ..

* * *

غالباً ما يُطرحُ هذا السؤال عن الشعراء والكبار من المبدعين بصفة عامة * كيف بدأت علاقتك بالأدب وخصوصاً الشعر...؟* وتكرار نفس السؤال لا يعني الحصول على نفس الإجابة . والسبب هو أن التجارب مختلفة. والأبطال أجناس رغم أنهم جميعاً من طينة الصمود وماء التحدي وصنيعة المثابرة .

وعلى سبيل المثال لو طرحنا السؤال نفسه عن الأديب المصري الكبير، دكتور سيد غيث ماذا سنستفيد من إجابته. علماً أنه رجل المبادرات الخيرية، والكتب الغنية بالمعارف الأدبية، والبراعات النقدية والبراءات الشخصية . في مجال بناء وإختراع أصلد الأنس وأكثرهم تحملاً وتفوقاً ..

إجابته التي كانت رداً على سؤال الصحفي عمر أواره من صحيفة التآخي العراقية جاء فيها " بدأت علاقتي بالأدب عندما كنت صغيراً أسمع الشعر من أبي خريج الازهر الشريف .الذي كان يدعم اللغة العربية الجليلة لغة القرآن الكريم . فوقعت على مسامعي أشعار العرب . والتي كان ينطق بها والدي ليل نهار لأنه أزهري درس فنون الشعر وعروضه -1-" الأن وقد أصبحت الإجابة واضحة . وقد ذكرنا دكتور سيد بأنه ورث الشعر عن الأب وراثة السلالة والدم . ثم وراثة الإهتمام والهم والتأثر والجلباب الذي وصفه بالأزهري ،الذي كانت الزهرات مرسومة عليه .وفق ألوان الحياة التي إبتهج الصبي د.سيد برؤيتها. وتعلم من والده أليات ريها بأسلوب حديث . يقول عنه " ومن هنا بدأت رحلتي مع الشعر والأدب . ومن بعدها إلتحقتُ بقصر ثقافة أم كلثوم .هذا الصرح الأدبي العملاق .الذي خَرْجَ الكثير والكثير من أدباء وشعراء ومُفكرين ..-2-"

وفي سن صغيرة إلتحق الدكتور سيد غيث بقصر ثقافة المنصورة وكان كبار الشعراء في هذا المكان المقدس ثقافياً في كل دول العالم . حيث تنتشر دور الثقافة وقصورها، تخليداً لجميع أنواع الفنون . وحفاظاً على قدسيتها من الإندثار أو الإنحصار . وفي ذاك القصر الثقافي العملاق يَقول غيث أنه " كان هناك الكثير من الشعراء الكبار. و يقولون هذا الشاعر الصغير سوف يَكون له شأن في مضمار الأدب العربي الجليل-3-"

وبتفهم كبير لأهمية تكرار نفس الأسئلة على مجموعة كبيرة من الأبطال. للحصول على أكبر قدر ممكن من الشهادات. التي تبني المستقبل ، والتي بُني بناء عنها كل الماضي .

يسمح الصحفي عمر أواره لنفسه بإستجواب شاعره الضيف بسؤال أزلي. وهو "كيف تصف الشعر العربي في الوقت الراهن.؟"

الدكتور سيد غيث سوف لن يعجز عن الرد .فهو الناقد لما قد حَضَرَ ومَضَى، ومَضَى وحَضَرَ من الشعر . وكذل لآنه شاعر يَقصده السُؤوال مُنذ زمن ،ولهذا لا بد أن الإجابة جاءت محكمة وهي "الشعر العربي في وقتنا الراهن أصفه كغثاء السيل ،كثير جداً ما ينتج ويخرج على مسامعنا .ولكن لا يطربنا .."

وهنا نلحظ أن الناقد غيث تحدث عن الشعراء ،ولم يتحدث عن الشعر . فالشعر وكما نعرف يُصبح عندما يكون، وإذا كان فلا يَجوز أن نصفه بغير الحسن .أو الجيد الممتاز جداً إن تفوق وأطرب . أما الشعراء فكما قال الدكتور غيث كغثاء السيل . وهم من أرادوا فتلقبوا .ولكن لم يقدموا ما يثبت أحقيتهم باللقب . لآنهم وحسب رأي غيث "هناك من الشعراء من يَكتب الخاطرة التي لا ترتقي إلى مستوى القصيدة. ويطلق عليها القصيدة العصماء ويلقبون أنفسهم بألقاب واهية. ويخلعون على أنفسهم خلع ليست على المقاس .-4-"

وللمهنة أسرار معروفة ، ولا بد من الكشف عنها كي تكون لعدالة الشعر أحكامها الصادرة مُسبقاً . وهذا ما يُطالب به غيث .الذي تحدث كمُحلف قاضي يُطالب المبتدعين من أشباه المُبدعين ، بتقديم ما لا بد منه " فلابد لكل شاعر أن يمتلك أدواته وهي:نحو وصرف وبلاغة – وعروض .. فمن لم يمتلك هذه الأدوات ويعمل على نفسه كي يقف على ناصية الأمر فهو ليس بشاعر . وقبل كل هذه الأدوات الملكة .. أي الموهبة .. فكما إصطفى الله الأنبياء أيضا تخير الشعراء , بدليل أن هناك جهابزة لغة ويحمل دراسات عليا في هذا التخصص ولكن لا يمكن أن يكتب بيتاً في قصيدة وعليه أقول بأن إختيار الله للشعراء ما هو إلا إصطفاء .-5-

وفي السؤال الثالث يقول أوراه لضيفه "ماذا يعني الشعر بالنسبة لك ؟"

وكانت المبالغة هي الحل . وقد لجأ إليها غيث وإستخدمها ليشرح بها لبسيط كلام كأوراه عمر . ماذا يعني أن تسأل شاعراً كبيراً عن معنى الشعر لديه . فقال له "الشعر لي بمثابة الماء والهواء للأحياء .. فقد تربيت في أحضان القصيد .. لدرجة إنني عاشق للمفردة العربية والصورة الشعرية البلاغيةومتيم باللغة العربية -5- وهذا طبعاً لم يكن كله مبالغة حتى يفهم السائل . وكانت فيه الفرحة بتلقي السؤال . لآن الشاعر يحب شرح علاقته بالقصيدة للبشر. تماما كمثل النبي عندما يرغب في تقريب الناس من الله والإيمان . هذا وللآنبياء المثل الأعلى ، ولهم كتبهم السماوية . أما غيث فله المثل الذي ضربه لنفسه) وكذلك ألف د.غيث مؤلفات في اللغة والبلاغة وعروض الشعر ومدارس الشعر– ومدارس النقد في عصرنا الحديث.

وعلى الرغم من أنه سأل وحصل على الجواب . يبقي أوراه للضروف نصيبها من حياة ضيفه ويناقضه بسؤوال فاجئه : "هل تفكر بأن تترك الشعر يوما ما وتتجه نحو الأجناس الأدبية الأخرى-6-"

وبدأت إجابة غيث مجدداً تجرد الشاعر الكبير من أي حصانة قد تبعده عن الشعر . وتكبله بمواقف ثابتة ووعوداً كررها وقطعها

بنفسه. كي لا يقترف ما توقعه السؤال الذي رد عنه بحزم ونفي قاطع :"لن أستطيع أن أترك الشعر يوما ما .لقد ضحيت من أجل القضية الثقافية والأدبية كثيرا كي أنشر الوعي الأدبي والثقافي في ربوع مصر والوطن العربي من خلال برامجي الثمانية التي أقدمها أسبوعيا على وسائل التواصل الإجتماعي كي يستفيد منها القاصي والداني وأكون مسهما في إثراء الحركة الأدبية على مستوى الوطن العربي.

وججج-7- الدكتور غيث بكونه متمسكاً بفكرة البقاء في مكتبته. التي أثراها بنفسه بكتب قلمه ومنها – الصياغة في علمي اللغة والبلاغة – والشرح الكافي في علمي العروض والقوافي والمعلقات العشر بأوزانها العروضية – وأشهر مدارس الشعر العربي وفلسفة شعراء العرب عبر العصور وكتاب: فنيات الكتابة الأدبية.

(1-2-3-4-5-6) جريدة التأخي العراقية الثلاثاء، 25 آب 2020 العدد 9257

-7- ججج : يعني فخر ، تفاخر

وفي قصيدته "مِنْ وَصَأيَا النَّاسِكِين"من ديوانه الجديد "شبر إغتراب" .
يخاطب الشاعر الله ويسأله العفو عن بشر عصوه بعزيمة أحبه بها .

استهلال:

يا رب: عفوك عن عبادك إنهم عشقوا الهوى..
عشقا تعففنا به..
أنت الذي أسكنته غرف القلوب برحمتك
فاصطفيني بذكره..!

وبعدما خرج من الجحيم بإبتهال ذكر به نفسه بالطاعة والسمع لله . أراد أن يُمسك بكتابه بيمينه ويبدأ القراءة . وحتماً سوف يقرأ نتاج إستهدافه للتنمية البشرية في طاعة الرب.

1-(اقرأ كتابك)

تتكامل الأشياء عند لقائنا..
فلا فارق اليوم بين حيطان الرمس في التاويل..
وخط العمر للأجل..
ما فرطنا في الهوى نحلة..
أأنعي ودك المقتول كل عشية فتبكي كسيل الله في العرم..!
والود إن أزجيته رسل القلوب.. أخافني..
وأماط عني لحافه وإستنكر العشق..
إني نسيت وصيتي وما أنساني إلا فرائط عقدكم

والمبتدى.. والحل.. والحرم..
أفرغ (كيزان) الصبر فوق منيتي..
وأخفض جناح الشوق للعشاق في طرف!
مستوزرة بقميصك المشغول بالأوزار لمن زاد وقاحة التسعير
والتلوين ليصبغ لون السهل.. بالصعب..
وضفائرك مسدولة فوق أكف عزيمته!
والأمسيات شواهد.. والقلب مكبول بشهوته.. وشقوته..
وإنتحرت الأديان فوق هشاشة الخطب..

ويضيف الشاعر قرأة للكتاب يشترط أن تكون من اليمين راغباً في رأية أشياء تكتمل بعدما أحاط بها المحال .

2- (أضعت.. نصف وصيتي)

مكيال من عشقنا المنقوص..
زاد ضراعتي في الأشهر الحرم..
لا.. ليلك المفتون جاء..
ولا الأصباح مؤنسنا ..
حسن الفتى وخريد صنعته جبر النساء..
وأكبرنا الفتى ولعا..
جودي (زليخ) بقميصه المغسول..

أو بدقيق سنبله..

ثم إستغفري لعزيزنا وترا..

ما زلت أدمع..

والخناجر تشرب من دمي..

يا صاحبي السجن ضاقت تباريح القلوب في سفرتي..

وخرائط البلدان ضاعت كالصواع..

والعير ترحل في دجى السنوات..

رحلت جنوبا في قطار الأربعين..

وهي تنشنش شعرها.. للمرتجى..

قد ضل وحيك بالجوار ببت لحم والخليل ..!!

وشاعرنا الدكتور:سيد غيث..صاحب المدرسة التناغمية في الشعر العربي الحديث .

هذه المدرسة لها روادها على مستوى الوطن العربي فقد أرثى قواعدها ووضع لها صفات.. ومواصفات وميزات .. ومميزات وآليات لكتابة الشعر على نسقها . فقدأخت لباب النقاد وكتب عنها كثير من كبار نقاد مصر والوطن العربي .

بعض من قصائد (المدرسة التناغمية الحديثة)..

قصيدة.. (وجعي القديم)
سيفان في متن القصيدة والقصيدة نازفة
زادا عناد الحبر في القلم..
كل النساء ولدن اليوم (عنترهن)..

مستعظمين حرام الله في الكتب
إلا هي جاءت (بعلقمة) فصب صباغ الحبر في القلب..!!
فلولا امتعاض المعنى في درك الحشا
لاستنفرت من قسورة.. رغوث البر للبحر..
عذراً.. خباب الشعر ما زارني وحيك
حتى تخيط المشرقين على شدة الوجع..
ما ساءها إلا انتقاص زادها قدراً..
كمن عاب اكتمال البدر من أضم..
مزجاة لا من علة.. تشكو على استحياء سقيانا.. لساقيها..!!
ما حار عبد في معارفها..
فأشعل الخوض من مرفل التكوين.. وامتحنت نواصيها
يا.. طرفة التسويق.. والتمذيق..
كيف استمرأت زيف التغني بالملحون..؟؟
فهل لي بليل زاغ أوله لوازا في ضراعتها
بكر.. هي والأقلام مرتعشة..

والعيش في سر التعبد للحروف يخيفني.. ويأزكم أزا..!!
كغانية تبيع الخبز للشعراء.. لتسكن وادي العبقر..
فأين الأدهم الموسوم بالإقبال والإدبار وأين يراعه عنتر؟
عابت علينا سموط الشعر..
واستطعمتنا هوام الأرض أمنية..
فناخت أحرفك عرجاء كرقص الواجل اللضم
فلا تعجل على مستاك عند صلاته
لعل الذنب معقود مع الندم ..!!

***

قصيدة ..(شَعَــائِر)

لك وحدكِ . . رميتان بنرد الحظ على الرشوف .. حبيبتي..!!
فلربما غنت يعاسيب الخطب في مأتمك .. أغنيتي
يرناءُ أنتِ على (الكفوف) تمخضت ناراً على حطبٍ
فدُلهمت بالاتساخ قوافلك من شامنا إلى تغريبه اليمن
وأنا أناشد ربنا .. مدٌ .. في نافلتي ..
لعلي أبلغ الأسباب جُل مدادها..
وأزيد في الترتيل من عمري ليل التباهي بتوبتك
لتنتقص المسافة بين أضغاثي وشرنقتي في أرحام الثكالى
لأبعث من جديد ..!!
ما أبدعه ليل التجلي عندما أسقيتك خمري الحلال-
لِيُعمدك في مرتين من الوتين إلى الوريد ..
يا ممسكة السماء .. وما علت شمس في ضيعتك
كيف وصفتِ الشوق حين توسلك . . ؟؟

أنت كما أنت .. خضراء مكتحلة بعصبصبِ الدمن
وأراكِ عرجون تجلينا عليه ..
فماجت في الرجوع بخصرها وتمايلت لحن على طربٍ
يا ويلتي عشر ..!!
باتت تغني للملاح تبرجاً
وتكيل كيداً من حلا الكلمات فوق وجيعتي
فتفارق النجوى قواعد الموصول منك
ولحظها أقرأ من المحظور بالأوراق نصف قصيدتي
لتعج في الأرحام كل وسامتي..
فيشيخ أطراف الكلام إذا العقيدة شيعت

من مقتضى تكبيرتي لشعيرة الظهر
لكِ أنت ناصية الخشوع المرتجى..
ولنا عواقب العشق المثلج في كؤوس الأمسيات
سيري على نهجي المقدس . . والكتاب
أو سيري كماء العين في أنبوبك الخارم
للموت طلعته . . وللأسباب..
ولك عَركس الدنيا وزخرفها (المطرز) بالمحارم
أشكوا عليك كل نائحة..!!
فالحزن أطرفك مروجاً . . وأبكى في المقل عبرات
لومي على غرف القلوب المبتلات . . صغيرتي..
فتيممي طهراً لعل الغيث مغتسلٌ..
فتطوى في الصدور الذكريات
هيأ اخشعي للعشق حين تركعك وتألمي له نافلة ..!
فلولا التوسل بالجسد ما أورقت سدرة الشوق المقدس نبضها

وتوهجت (بتلات) وردك كالدهان..
صلوا يا كل العارفين تضرعاً ..
فلعودتي تحيا قلوب العاشقات..!!

***

قصيدة.. (وضوء الأنبياء)

هاجر.. تزم الماء ينبع من وضوء الأنبياء
ومأذن الرحمن .. تنده ربها ..!؟
فتكبر الخمس الغوالي ..وتشتكي
وآذانكم في الليل.. أصبح كالغناء

لا..أوجعك من صوت حق في القلوب تحشرج
اقرأ علينا من كتابك .. ربما.. طهرتني بفصاحة الكتب
آسارية تلحف بالوثير.. كعادته ..؟؟
ولم يركن الى الجبل ..
لا فارض أنا في البلوغ ولا هي بكر عوان..أو عصي ..
فهيا إخلعي .. أريض الشيب من طمع
ثم ارتديني صغيرتي .. في وهلتين على مهلك..
لعمرك ..لا الموت .. مكفول لذي حيلِ
الموت..أقرب من قوسين ..للأجلِ..!!